قُبَّعَةُ القَاتِل

وَقِصَصٌ أُخرَى

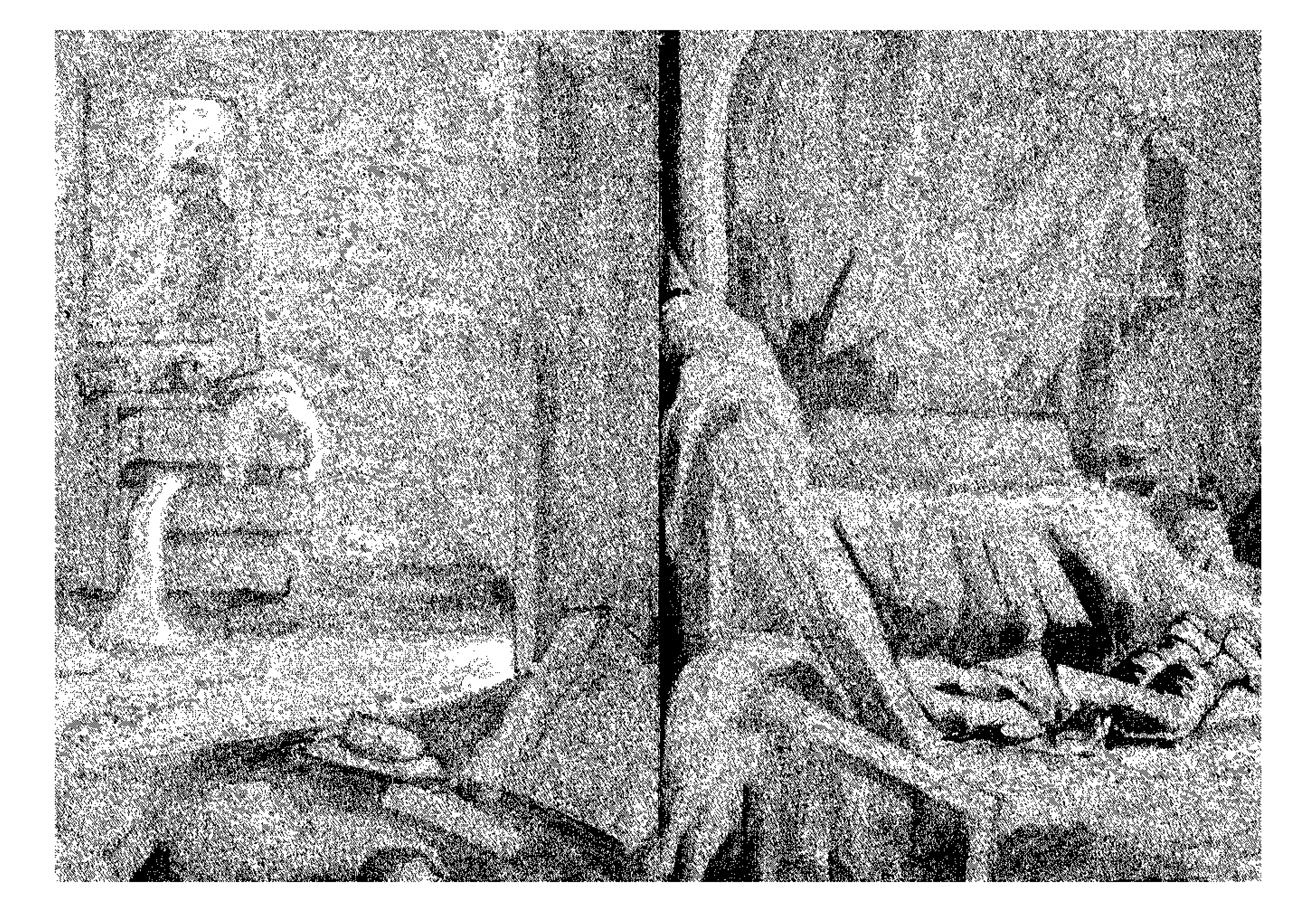
مكتبة لبنان

الحكايات البوليسية



قُبَّعَةُ القَاتِل

وَقصصٌ أخرَى



© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان
١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٣ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٦١-٨

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة



الحكايات البوليسية

قُبَّعَةُ القَاتِل

وَقصَصٌ أخرَى



إعداد : إسماعيل أبو العزائم
رسوم : هويدا مُصطفى

مكتبة لبنان
بيروت

قُبَّعَةُ ٱلقاتِلِ
تأليف : أُوستِن فرِيمان

اِسْمي جارْفِيز ، وَأَعْمَلُ طَبيبًا . ولي صَديقٌ طَبيبٌ هُوَ ٱلدُّكْتُور ثُورنْدَيك ، وَقَدْ نالَ أَيْضًا دَرَجةَ ٱلدُّكْتُوراه في ٱلعُلومِ ، وَيَعْمَلُ في مَجالِ ٱلطِّبِّ ٱلشَّرْعِيِّ وَكَشْفِ ٱلجَرائِمِ .

كُنْتُ أَسيرُ مَعَهُ ذاتَ يَوْمٍ في بْلُومزْبري .

قالَ : « هٰذا مَكانٌ مِنَ ٱلأَماكِنِ ٱلغَريبةِ في لَنْدَن . إنَّ ٱلكَثيرينَ مِنَ ٱلأَجانِبِ يَعيشُونَ فِيهِ . »

قُلْتُ : « نَعَمْ ، هُنُودٌ وَإفْرِيقِيُّونَ وَيابانِيُّونَ ، وَخُصوصًا ٱلهُنودَ . »

اِندَفَعَ أَثْناءَ حَديثي أَحَدُ ٱلهُنودِ خارِجًا مِنْ بابِ بَيْتٍ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إلى ٱلأَبْوابِ ٱلمُجاوِرَةِ . كانَ يَرْتَدي مَلابِسَ أَنيقةً ، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ يَلْبَسُ قُبَّعةً ، وَكانَ يَبْدو عَلَيْهِ ٱلاضْطِرابُ ٱلشَّديدُ . أَسْرَعَ نَحْوَنا يَسْأَلُ : « هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُخْبِراني أَيْنَ أَجِدُ طَبيبًا ؟ »

قالَ ثُورنْدَيك : « أَنا طَبيبٌ . »

« إنَّ آسْمي بِيرامْجِي . أَرْجوكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعي . لَقَدْ حَدَثَ شَيْءٌ فَظيعٌ :



فَقَدْ ذَهَبْتُ إلى غُرْفَةِ أخي فَوَجَدْتُهُ راقِدًا عَلى ٱلأَرْضِ يَتَنَفَّسُ بِصَوْتٍ عالٍ . وَعِنْدَما تَحَدَّثْتُ إِلَيْهِ لَمْ يُجِبْني . »

تَبِعْنا بيرامْجي ، وَوَجَدْنا رَجُلًا راقِدًا عَلى ٱلأَرْضِ يَتَنَفَّسُ بِصَوْتٍ عالٍ . كانَتْ عَيْناهُ مَفْتوحَتَيْنِ ، وَلَمَّا جَسَسْتُ نَبْضَهُ وَجَدْتُهُ ضَعيفًا ، ثُمَّ ما لَبِثَ نَبْضُهُ أَنْ تَوَقَّفَ .

قُلْتُ : « لَقَدْ ماتَ ! رُبَّما كانَتْ حالَةَ هُبوطٍ في ٱلقَلْبِ . »

قالَ ثورنْدَيك : « لا ! » ثُمَّ أَشارَ إلى بُقَعٍ مِنَ ٱلدَّمِ عَلى أُذُنِهِ ٱليُمْنَى . وَجَسَّ بِيَدِهِ رَأْسَ ٱلرَّجُلِ ٱلمُتَوَفَّى وَقالَ : « لَقَدْ ماتَ بِضَرْبَةٍ شَديدَةٍ عَلى ٱلرَّأْسِ . »

كانَ بِالبابِ خادِمانِ سَأَلَهُما بيرامْجي : « أَيْنَ هُوَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي جاءَ مَعَهُ ؟ »

قالَ ٱلخادِمُ : « أَنا لَمْ أَرَ إِلَّا ظَهْرَ ٱلرَّجُلِ . كانَ يَرْتَدي مَلابِسَ داكِنَةً وَيَعْتَمِرُ قُبَّعَةً سَوْداءَ مِنَ ٱلقُماشِ ٱلنّاعِمِ . »

سَأَلَ ثورنْدَيك : « هَلْ تَعْرِفُ مَنْ هُوَ يا سَيِّدُ بيرامْجي ؟ »

« أَعْتَقِدُ أَنَّهُ جاءَ لِيَتَحَدَّثَ مَعَهُ في أَمْرِ شِراءِ ٱلياقوتَةِ ـــ ٱلياقوتَةِ ٱلعَظيمَةِ . »

سَأَلَ ثُورنْدَيك : « الياقُوتةُ ؟ »

« لَقَدْ كانَتْ أَكْبَرَ ياقُوتةٍ رَأَيْتُها . إنَّها ياقُوتةٌ حَمْراءُ داكِنةٌ لِلْغايةِ . وَتَبْلُغُ قِيمَتُها أَكْثَرَ مِنْ قِيمَةِ أَكْبَرِ قِطْعةِ ماسٍ . لَقَدْ أَحْضَرَها مَعَهُ مِنْ بُورْما مُنْذُ نَحْوِ أَرْبَعةِ أَشْهُرٍ . » ثُمَّ جَثا عَلى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ داخِلَ مَلابِسِ ٱلرَّجُلِ ٱلمَيْتِ وَقالَ : « كانَ يَحْتَفِظُ بِها دائِمًا في مَحْفَظةٍ جِلْديَّةٍ مُلاصِقَةٍ لِجِلْدِهِ . لَقَدِ ٱخْتَفَتِ ٱلمَحْفَظةُ ! » ثُمَّ بَحَثَ في أَنْحاءِ ٱلغُرْفةِ فَوَجَدَ ٱلمَحْفَظةَ فارِغةً .

عِنْدَما كُنَّا نَبْحَثُ في أَرْجاءِ ٱلغُرْفةِ وَجَدْتُ قُبَّعةً بِجِوارِ ٱلمائِدةِ . نَظَرَ بيرامْجي إلى ٱلقُبَّعةِ وَسَأَلَ : « قُبَّعةُ مَنْ هٰذِهِ ؟ »

« أَ لَيْسَتْ هِيَ قُبَّعةَ أَخيكَ ؟ »

« لا ، إنَّ قُبَّعةَ أَخي مُشابِهةٌ لِقُبَّعَتي . لَها بِطانةٌ مِنَ ٱلحَريرِ ٱلأَبْيَضِ وَعَلى جِلْدَتِها ٱلدَّاخِلِيَّةِ كُتِبَ ٱلحَرْفانِ D B بِٱلخَطِّ ٱلمُذَهَّبِ . أَمَّا هٰذِهِ ٱلقُبَّعةُ فَهِيَ أَقْدَمُ مِنْ قُبَّعةِ أَخي ، وَلَيْسَتْ بِطانَتُها حَريرِيَّةً ، وَلا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ قُبَّعة ٱلقاتِلِ . »

وَضَعَ ثُورنْدَيك ٱلقُبَّعةَ عَلى رَأْسِ ٱلمُتَوَفَّى ، وَظَهَرَ أَنَّها مُناسِبةٌ إلى حَدٍّ مـــا .

قالَ ثُورنْدَيك : « مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّ ما حَدَثَ هُوَ عَلى ٱلنَّحْوِ ٱلآتي : لَقَدْ وَضَعَ ٱلرَّجُلانِ قُبَّعَتَيْهِما عَلى ٱلمائِدةِ ، وَأَثْناءَ شِجارِهِما وَقَعَتْ قُبَّعةُ ٱلقاتِلِ وَسَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَبَعْدَ أَنْ فَعَلَ فَعْلَتَهُ أَخَذَ ٱلقُبَّعةَ ٱلوَحيدةَ ٱلمَوْجودةَ عَلى ٱلمائِدةِ وَٱعْتَمَرَها . عَلَيْنا أَنْ نُبْلِغَ ٱلشُّرْطةَ بِما حَدَثَ . وَلٰكِنِّي أُفَضِّلُ أَنْ أَقُومَ بِفَحْصِ هٰذِهِ ٱلقُبَّعةِ قَبْلَ أَنْ نُعْطِيَهُمْ إِيّاها . هَلْ عِنْدَكَ فُرْشةٌ صُلْبةٌ ؟ »

أَحْضَرَ بيرامْجي فُرْشةً ، وَبَسَطَ ثُورنْدَيك قِطْعةً مِنَ ٱلوَرَقِ عَلى ٱلمائِدةِ ، وَأَخَذَ يَمْسَحُ بِالفُرْشةِ عَلى ظاهِرِ ٱلقُبَّعةِ حَتّى يَتَساقَطَ ما بِها مِنْ غُبارٍ عَلى صَفْحةِ ٱلوَرَقِ . ثُمَّ طَوى تِلْكَ ٱلوَرَقةَ بِعِنايةٍ ، وَكَتَبَ عَلَيْها عِبارةَ « ظاهِرُ ٱلقُبَّعةِ » وَوَضَعَها في مُفَكِّرَتِهِ .

ثُمَّ قَلَبَ ٱلقُبَّعةَ وَرَفَعَ ٱلجِلْدةَ ٱلدّاخِلِيَّةَ فَتَساقَطَتْ عِدَّةُ وُرَيْقاتٍ . وَيَبْدُو أَنَّ ٱلقُبَّعةَ كانَتْ واسِعةً عَلى لابِسِها ، وَلِهٰذا وَضَعَ تِلْكَ ٱلوُرَيْقاتِ داخِلَ ٱلجِلْدةِ حَتّى تُناسِبَ رَأْسَهُ . وَأَخَذَ ثُورنْدَيك يَدْرُسُ تِلْكَ ٱلوُرَيْقاتِ بِعِنايةٍ . كانَ ٱلجُزْءُ ٱلأَكْبَرُ مِنْها قِطَعًا مِنْ وَرَقِ ٱلصُّحُفِ ، وَكانَتْ إِحْدى ٱلوُرَيْقاتِ قائِمةً بِأَسْعارِ سَخّاناتِ ٱلغازِ ، وَٱلأَفْرانِ ٱلمُسْتَخْدَمةِ في صِناعةِ ٱلأَوْعِيةِ ٱلخَزَفِيَّةِ ، وَما إِلى ذٰلِكَ مِنَ ٱلأَشْياءِ ٱلَّتي تَحْتاجُ إِلى حَرارةٍ عالِيةٍ .

وَكانَ مَعَ ٱلوُرَيْقاتِ ظَرْفٌ عَلَيْهِ بَقايا عُنْوانٍ ، وَوَرَقةٌ أُخْرى كانَتْ هِيَ أَيْضًا جُزْءًا مِنْ قائِمةٍ .



أَعادَ ثُورنْدَيك تِلْكَ ٱلوُرَيْقاتِ إلى داخِلِ ٱلقُبَّعةِ .

سَمِعْنا بَعْدَ ذٰلِكَ طَرْقةً عاليةً عَلى ٱلبابِ ، فَفَتَحَهُ بيرامْجي لِيَدْخُلَ مِنْهُ شُرْطيٌّ تَتْبَعُهُ ٱلسَّـيِّدةُ سْميث صاحِبةُ ٱلبَيْتِ .

قالَتْ : « لَقَدْ أَرْسَلْتُ أَلْبِرْت لِيُحْضِرَ ٱلشُّرْطةَ . »

رَوى بيرامْجي لِلشُّرْطِيِّ ما سَبَقَ أَنْ قالَهُ لَنا ، وَقُمْنا أَنا وَثُورنْدَيك بِإعْطاءِ ٱلشُّـرْطِيِّ ٱسْمَيْنا وَعُنْوانَيْنا .

وَفي طَريقِنا إلى ٱلبَيْتِ ، قُلْتُ : « إذا ٱقْتَصَرَتْ مَعْلوماتُ ٱلشُّرطَةِ عَلى ما لَدَيْنا مِنْها ، فَإِنَّ فُرصَةَ ٱكْتِشافِ ٱلقاتِلِ سَتَكونُ مَحْدودةً . »

قالَ ثورنْدَيك : « لا ، إنَّ هٰذِهِ ٱلجَريمَةَ قَريبةُ ٱلشَّبَهِ بِثَلاثِ جَرائِمَ أُخْرَى حَدَثَتْ في ٱلأَشْهُرِ ٱلسِّتَّةِ ٱلأخيرةِ ، وَلَدى ٱلشُّرطَةِ بَعْضُ ٱلمَعْلوماتِ عَنِ ٱلمُجْرِمِ . وَقَدْ تُساعِدُ ٱلقُبَّعةُ ٱلشُّرطَةَ مُساعَدَةً كَبيرَةً . »

« وَكَيْفَ ذٰلِكَ ؟ إنَّ ٱلقُبَّعَةَ سَتُبَيِّنُ لَهُمْ حَجْمَ رَأْسِ ٱلرَّجُلِ . هَلْ هُناكَ شَيْءٌ آخَرُ ؟ »

« عَلَيْكَ أَنْ تُفَكِّرَ في ٱلفَحْصِ ٱلبَسيطِ ٱلَّذي قُمْنا بِهِ وَتُدْرِكَ أَهَمِّيَّةَ ما ٱكْتَشَفْناهُ . »

كانَ لَدَيَّ بَعْضُ ٱلأَعْمالِ . وَبَعْدَ إِنْجازِها ذَهَبْتُ إلى بَيْتِ ثورنْدَيك . كانَ مِجْهَرُهُ (مَيكْرُوسْكُوبُهُ) عَلى ٱلمائِدةِ ، وَفي يَدِهِ أُنْبوبُ ٱخْتِبارٍ مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي يُسْتَخْدَمُ في ٱلأَبحاثِ ٱلعِلْمِيَّةِ ، وَبِهِ سائِلٌ مُلَوَّنٌ يَتَصاعَدُ مِنْهُ دُخانٌ .

« أَراكَ تَقُومُ بِفَحْصِ ٱلغُبارِ ٱلَّذي كانَ بِالقُبَّعةِ . هَلْ أَفادَكَ بِشَيْءٍ ؟ »

أَجابَ : « كانَتِ ٱلفائِدةُ قَليلةً . لَقَدْ وَجَدْتُ بِضْعَ شُعَيْراتٍ داخِلَ ٱلقُبَّعةِ لَوْنُها بُنِّيٌّ فاتِحٌ . وَإِحْداها مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي يَنْمو بِٱلجُزْءِ ٱلأَصْلَعِ

مِنَ ٱلرَّأْسِ . أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْغُبارِ فَفِيهِ آثارٌ مِنَ ٱلرَّصاصِ وَبَعْضُ ٱلرَّمادِ ، وَمِنَ ٱلْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكونَ رَمادَ عِظامٍ ٱحْتَرَقَتْ . »

« رَصاصٌ ؟ رُبَّما كانَ ٱلرَّجُلُ رَسَّامًا أَوْ دَهَّانًا . »

« رُبَّما ! وَلٰكِنِّي لا أَعْتَقِدُ ذٰلِكَ . »

لاحَظْتُ عَلى ٱلمائِدةِ بَعْضَ أَدِلَّةِ مَكاتِبِ ٱلبَريدِ بِها أَسْماءُ رِجالِ ٱلأَعْمالِ وَٱلأَطِبَّاءِ وَٱلمُحامِينَ ، وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِمَّنْ يَعْمَلونَ في مُخْتَلِفِ أَنْحاءِ لَنْدَن .

سَمِعْنا طَرْقًا عَلى ٱلبابِ ، ثُمَّ دَخَلَ ٱلمُفَتِّشُ مِيلَر ٱلتَّابِعُ لِقِسْمِ ٱلجَرائِمِ في سْكُوتْلانْد يَارْد .

قالَ : « لَقَدْ طُلِبَ مِنِّي أَنْ أَقومَ بِالتَّحْقِيقِ في قَضِيَّةِ بِيرامْجِي . لَقَدْ أَخْبَرَني ٱلسَّيِّدُ بِيرامْجِي أَنَّكَ قُمْتَ بِفَحْصٍ دَقيقٍ لِقُبَّعةِ ٱلرَّجُلِ ٱلمُخْتَفي . لَقَدْ قُمْتُ أَنا كَذٰلِكَ بِإِجْراءِ فَحْصٍ دَقيقٍ لَها ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَتَوَصَّلْ لِشَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُفِيدَ . لَيْسَ مِنْ شَكٍّ إِذًا في أَنَّ هٰذِهِ ٱلجَرِيمةَ مِنِ ٱرْتِكابِ شَخْصٍ أَمْريكيٍّ يُطْلَقُ عَلَيْهِ ٱسْمُ ' رَجُلُ نِيُوجِيرْسي ٱلغامِضُ ' ، وَسَمَّيْناهُ كَذٰلِكَ لِأَنَّ نِيُوجِيرْسي هِيَ ٱلمَكانُ ٱلوَحِيدُ في أَمْرِيكا ٱلَّذي تَمَكَّنَتِ ٱلشُّرْطَةُ فيهِ مِنْ مَعْرِفةِ شَيْءٍ عَنْهُ ، وَٱلحُصُولِ عَلى بَصَماتِ أَصابِعِهِ . إِنَّهُ دائِمًا يَرْتَكِبُ جَرائِمَهُ بِمُفْرَدِهِ ، وَتَنْتَهي كُلُّ جَرِيمةٍ بِالقَتْلِ . »

سَأَلَهُ ثورنْدَيك : « هَلْ لَدَيْكَ صُورةٌ لِبَصَماتِ ٱلأَصابعِ ؟ »

« نَعَمْ ، إِنَّها بَصَماتٌ غَيْرُ واضِحةٍ ؛ فَهِيَ مِنَ ٱلخُشُونَةِ بِمَكانٍ بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ رُؤْيَةُ ٱلخُطُوطِ بوُضُوحٍ . رُبَّما كانَتْ هٰذِهِ ٱلبَصَماتُ مَأْخُوذَةً مِنْ عَلى سَطْحٍ خَشَبِيٍّ . وَفي بَعْضِ ٱلأَحْيانِ قَدْ تُؤْخَذُ مِثْلُ هٰذِهِ ٱلبَصَماتِ مِنْ أَصابعِ أَشْخاصٍ يَقُومُونَ بِالتَّعامُلِ مَعَ مَعادِنَ خَشِنةٍ تُؤَثِّرُ عَلى ٱلجِلْدِ وَتَمْحو أَجْزاءً مِنْهُ . »

نَظَرَ ثورنْدَيك إلى صُورةِ ٱلبَصَماتِ وَقالَ : « نَعَمْ ، إِنَّ خُطوطَها غَيْرُ واضِحةٍ ، وَلٰكِنَّ هٰذِهِ ٱلبَصَماتِ قَدْ تُفِيدُني . »

سَأَلَهُ ٱلمُفَتِّشُ مِيلَر : « هَلْ في وُسْعِكَ أَنْ تُخْبِرَنا بِوِجْهةِ نَظَرِكَ ، أَوْ تُعْطِيَنا فِكْرةً قَدْ تُوَجِّهُنا في ٱلتَّحْقيقِ ؟ »

أَجابَ ثورنْدَيك : « في ٱلواقِعِ لَمْ أَتَوَصَّلْ بَعْدُ لِأَيِّ حَقيقةٍ ، وَلٰكِنِّي كُنْتُ أُفَكِّرُ في مُحاوَلةِ مَعْرِفةِ شَيْءٍ عَنِ ٱلنَّاسِ ٱلَّذينَ يَعيشونَ في ٱلشَّقَّةِ رَقْمِ ٥١ في كِليفُوردْز إنْ . »

قالَ مِيلَر : « حَسَنًا ! هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَذْهَبَ غَدًا مَساءً ؟ »

قُلْتُ لِنَفْسي : كليفُوردْز إنْ ؟ إِنَّهُ مَبْنًى قَديمٌ يَحْتَوي عَلى مَجْموعاتٍ مِنْ شُقَقٍ يَعيشُ فيها بَعْضُ ٱلنَّاسِ ، بِالإِضافةِ إلى مَكاتِبَ وَمَحالَّ . وَلٰكِنْ

كَيْفَ تَمَكَّنَ ثُورنْدَيك أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ n' —— 'تَعْني ٱلشَّـقَّةَ رَقْمِ ٥١ في كلِيفُوردْز إنْ .

كَتَبَ ثُورنْدَيك خِطابَيْنِ ، وَقالَ : « سَوْفَ أَذْهَبُ لِأَضَعَ هٰذَيْنِ ٱلخِطابَيْنِ في صُنْدوقِ ٱلبَريدِ . أَ تَأْتي مَعي ؟ رُبَّما ذَهَبْنا وَرَأَيْنا كلِيفُوردْز إنْ . »

بَعْدَ أَنْ وَضَعْنا ٱلخِطابَيْنِ في صُنْدوقِ ٱلبَريدِ ، ذَهَبْنا مَعًا إلى كلِيفُوردْز إنْ . وَتَوَقَّفْنا أَمامَ ٱلشَّـقَّةِ رَقْمِ ٥١ .

قُلْتُ : « إذًا فَهٰذا هُوَ ٱلمَكانُ ٱلَّذي سَنَجِدُ فيهِ ٱلشَّخْصَ ٱلمُخْتَفِيَ . »

قالَ : « لا ، لَيْسَتْ هٰذِهِ حَقيقَةً وَإنَّما مُجَرَّدُ ظَنٍّ . »



نَظَرْنا إلى أَسْماءِ أُولٰئِكَ ٱلَّذينَ يَعيشونَ أَوْ يَعْمَلونَ هُناكَ . كانَ بِالدَّوْرِ ٱلأَرْضِيِّ بَعْضُ ٱلمُصَوِّرينَ ، وَ بِالدَّوْرِ ٱلأَوَّلِ ٱلسَّـيِّدُ كارِينْغتُون ، وَكانَ ٱسْمُهُ مَكْتُوبًا بِطِلاءٍ أَبْيَضَ جَديدٍ ، وَهُوَ مُتَغَيِّبٌ مُنْذُ فَتْرةٍ . وَكانَ في ٱلدَّوْرِ ٱلَّذي يَعْلُوهُ ، وَهُوَ ٱلدَّوْرُ ٱلأَخيرُ ، بِيرْت وَهايْلِي . وَكانَ ٱسْماهُما مَكْتوبَيْنِ عَلى ٱلبابِ بِطِلاءٍ قَديمٍ باهِتٍ عَلى ٱلنَّحْوِ ٱلتَّالي : « بِيرْت وَهايْلِي ـــ صائِغا مَعادِنَ . » وَصائِغو ٱلمَعادِنِ هُمْ أُولٰئِكَ ٱلَّذينَ يَسْتَخْرِجونَ ٱلمَعادِنَ ٱلخالِصةَ كَٱلذَّهَبِ وَٱلفِضَّةِ مِنَ ٱلمَوادِّ ٱلخامِ .

قالَ ثُورنْدَيك وَهُوَ يُشيرُ إلى ٱللَّافِتةِ : « لَقَدْ رَحَلَ بِيرْت . » وَكانَ هُناكَ خَطَّانِ أَحْمَرانِ فَوْقَ ٱسْمِهِ . وَٱستَمَرَّ قائِلًا : « إذًا فَهايْلِي هُوَ ٱلشَّخْصُ ٱلَّذي يَقومُ بِالعَمَلِ هُنا ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ يَعيشُ وَيَعْمَلُ في ٱلمَكانِ نَفْسِهِ . وَلٰكِنِّي لا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ ٱلسَّـيِّدِ كارِينْغتُون . تُرى مَنْ يَكونُ ؟ وَأَيُّ نَوْعٍ مِنَ ٱلأَشْخاصِ هُوَ ؟ »

ذَهَبْنا في ٱلصَّباحِ ٱلتَّالي إلى مَكْتَبِ ٱلسَّـيِّدِ غرايْسَن في شارِعِ سانْت هِيلِين .

قالَ ثُورنْدَيك : « إنَّ ٱلسَّـيِّدَ غرايْسَن يَقومُ بِفَحْصِ ٱلصُّخورِ فَحْصًا عِلْميًّا لِيَكْتَشِفَ نِسْبَةَ ما فيها مِنْ ذَهَبٍ أَوْ مَعادِنَ أُخْرى . وَهُوَ يَعْمَلُ لِحِسابِ بَعْضِ شَرِكاتِ ٱلتَّعْدينِ . »

دَخَلْنا ٱلمَكْتَبَ ، وَهُناكَ قامَ أَحَدُ ٱلكَتَبَةِ بِإِعْطاءِ ثُورنْدَيك رَبْطةً بِها عَدَدٌ مِنَ ٱلصُّخورِ ٱلصَّغيرةِ . وَكانَتْ عَلى إِحْدَى هٰذِهِ ٱلصُّخورِ نُقَطٌ صَفْراءُ لامِعةٌ . أَخَذَ ثُورنْدَيك تِلْكَ ٱلقِطْعةَ وَوَضَعَها في جَيْبِهِ ، وَوَضَعَ ٱلصُّخورَ ٱلباقيةَ في حَقيبَتِهِ .

قالَ ٱلكاتِبُ : « لَيْسَ هُناكَ ما يَدْعو إِلى أَنْ تُعيدَها لَنا فَهِيَ عَديمةُ ٱلقيمةِ . »

قُلْتُ لِنَفْسي : « تُرى ما فائِدةُ تِلْكَ ٱلصُّخورِ لِثُورنْدَيك ؟ » وَعِنْدَما سَأَلْتُهُ هٰذا ٱلسُّؤالَ ٱكْتَفَى بِٱلِابْتِسامِ .

خَرَجْنا في ٱلسَّاعةِ ٱلثَّالِثةِ بَعْدَ ظُهْرِ ذٰلِكَ ٱليَوْمِ ، وَمَعَنا مِيلَر وَحَقيبةُ ٱلصُّخورِ ، وَذَهَبْنا إِلى كلِيفوردْز إِنْ ، ٱلشَّـقَّةِ رَقْمِ ٥١ . كانَ في ٱلخارِجِ لافِتةٌ مَكْتوبٌ عَلَيْها : « شُقَقٌ وَمَكاتِبُ لِلْإِيجارِ . »

دَقَّ ثُورنْدَيك ٱلجَرَسَ ، فَجاءَ ٱلبَوَّابُ . وَعِنْدَما رَأَى ثُورنْدَيك ٱبْتَسَمَ لَهُ كَأَنَّما كانَتْ هُناكَ مَعْرِفةٌ سابِقةٌ بَيْنَهُما .

قالَ ثُورنْدَيك : « مَساءَ ٱلخَيْرِ يا سَيِّدُ لارْكِن . ما هِيَ ٱلشُّقَقُ ٱلمَعْروضةُ لِلْإِيجارِ ؟ »

« هُناكَ ٱلشَّـقَّةُ رَقْمُ ٥ ، وَٱلشَّـقَّةُ رَقْمُ ١٢ ، وَلٰكِنَّهُما شَقَّتانِ صَغيرَتانِ

مُظْلِمَتانِ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ . وَلٰكِنَّ ٱلسَّـيِّدَ كارِينْغتُون ٱلَّذي يَشْغَلُ ٱلشَّـقَّةَ رَقْمَ ٥١ اُضْطُرَّ إلى مُغادَرةِ شَقَّتِهِ فَجْأَةً . فَقَدْ تَسَلَّمْتُ هٰذا ٱلصَّباحَ خِطابًا مِنْهُ وَبِهِ ٱلمِفْتاحُ . » ثُمَّ أَرى ثُورنْديك ٱلخِطابَ ، وَجاءَ فيهِ :

شَرِكةُ ٱلمِلاحةِ ٱلسُّوَيْديَّةُ س.س. غوتِنْبِرْغ

سَيِّدي ٱلعَزيزَ ،

أُبْلِغُكُمْ أَنِّي أَخْلَيْتُ شَقَّتي رَقْمَ ٥١ ؛ إذْ إنَّني قَدِ ٱسْتُدْعِيتُ فَجْأةً . وَفي وُسْعِكَ أَنْ تَبيعَ ما بِها مِنْ أَثاثٍ . »

المُخْلِصُ أ. كارِينْغتُون

قالَ لارْكِن : « إنَّها شَقَّةٌ جَيِّدةٌ وَهادِئةٌ لِلْغايةِ . وَٱلدَّوْرُ ٱلَّذي يَعْلُوها يَسْكُنُهُ بِيرْت وَهايْلِي . وَقَدْ سافَرَ بِيرْت ، وَلا أَظُنُّ أَنَّ لَدى ٱلسَّـيِّدِ هايْلِي ٱلكَثيرَمِنَ ٱلعَمَلِ ٱلآنَ . يُمْكِنُكَ أَنْ تَذْهَبَ وَتَراها . خُذْ هٰذا ٱلمِفْتاحَ . »

فَتَحَ ثُورنْدَيك ٱلبابَ ، فَلَمْ يَجِدْ إلَّا مِنْضَدةً صَغيرةً وَكُرْسِيَّيْنِ . وَوَجَدْنا في ٱلغُرْفةِ ٱلثّانيةِ سَريرًا حَديديًّا بِغَيْرِ مُلاءَةٍ .

قالَ مِيلَر : « ما هٰذا ؟ لَقَدْ تَرَكَ قُبَّعةً خَلْفَهُ . إنَّها قُبَّعةٌ جَيِّدةٌ . » قَلَبَهاوَنَظَرَ بِداخِلِها ، ثُمَّ قالَ : « أُنْظُرْ يا دُكْتُور ، إنَّها ٱلقُبَّعةُ ! »

كانَتْ بِطانَتُها مِنَ ٱلحَريرِ ٱلأَبْيَضِ ، وَقَدْ كُتِبَ عَلَيْها بِٱللَّوْنِ ٱلذَّهَبِيِّ

ٱلحَرْفانِ D.B ، كَما وَصَفَها ٱلسَّـيِّدُ بيرامْجي .

قالَ مِيلَر : « سَوْفَ أَقْبِضُ عَلى ٱلرَّجُلِ . إنَّ تِلْكَ ٱلسُّفُنَ ٱلسُّوَيْدِيَّةَ تَرْسُو في مِيناءِ هَلْ ، وَميناءِ نيُوكاسِل . سَوْفَ أُصْدِرُ ٱلأَمْرَ بِإِيقافِ ٱلسَّفينةِ في نيُوكاسِل ، وَآخُذُ مَعي أَحَدَ رِجالِ ٱلشُّرطةِ لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ . شُكْرًا لَكَ عَلى مُساعَدَتِكَ . » وَأَسْرَعَ خارِجًا .

قالَ ثُورنْدَيك : « أَرى أَنَّهُ كانَ مِنَ ٱلواجِبِ عَلى مِيلَر أَنْ يَنْتَظِرَ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ ٱلمَزيدَ عَنِ ٱلرَّجُلِ . أَعْتَقِدُ أَنَّ في وُسْعِنا أَنْ نَعْرِفَ ٱلمَزيدَ عَنْهُ مِنَ ٱلشَّخْصِ ٱلَّذي يَعيشُ في ٱلدَّوْرِ ٱلعُلْوِيِّ . لَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَمْسِ خِطابًا عَنْ بَعْضِ أَعْمالِ ٱلتَّعْدينِ ، وَوَقَّعْتُ ٱلخِطابَ بِٱسْمِ ، بُولْتُون . وَإِذا سَأَلَكَ عَنِ ٱسْمِكَ قُلْ لَهُ سْتيفِنْسُن . »

عَرَفْتُ عِنْدَئِذٍ لِماذا يَحْتاجُ ثُورنْدَيك إِلى قِطَعِ ٱلصُّخورِ تِلْكَ . ذَهَبْنا إِلى ٱلدَّوْرِ ٱلعُلْوِيِّ ، وَقَبْلَ أَنْ يَدُقَّ ثُورنْدَيك ٱلبابَ نَظَرَ إِلى عَدَّادِ ٱلغازِ خارِجَ ٱلشَّـقَّةِ لِيَعْرِفَ كَمِّـيَّةَ ٱلغازِ ٱلَّتي ٱسْتَهْلَكَها ٱلسَّاكِنُ .

فَتَحَ ٱلبابَ رَجُلٌ قَصيرٌ يَرْتَدي حُلَّةً بَيْضاءَ .

« مَساءَ ٱلخَيْرِ يا سَيِّدُ هايْلي . » وَمَدَّ ثُورنْدَيك يَدَهُ لِيُصافِحَهُ ، وَنَظَرَ إِلى يَدِ ٱلرَّجُلِ وَهُوَ يُصافِحُهُ ثُمَّ قالَ : « هَلْ تَسَلَّمْتَ خِطابي ؟ »

« نَعَمْ ، وَلٰكِنِّي لَسْتُ ٱلسَّيِّدَ هايْلِي . لَقَدْ سافَرَ وَأَقومُ أَنا بِعَمَلِهِ . إِنَّ ٱسْمي شِيرْوُود . هَلْ لَدَيْكَ ٱلأَشياءُ ٱلَّتي تُريدُ مِنِّي فَحْصَها ؟ »

أَفْرَغَ ثُورنْدَيك ما لَدَيْهِ في حَقيبَتِهِ مِنْ صُخورٍ عَلى ٱلمائِدَةِ .

قامَ شِيرْوُود بِفَحْصِ كُلِّ قِطْعَةٍ فَحْصًا دَقيقًا ، وَكانَ ثُورنْدَيك يَجولُ بِنَظَرِهِ في أَنْحاءِ ٱلغُرْفَةِ أَثْناءَ قِيامِ شِيرْوُود بِٱلفَحْصِ . كانَ بِٱلغُرْفَةِ فُرْنانِ صَغيرانِ وَفُرْنٌ آخَرُ كَبيرٌ ؛ وَكانَ بِها رَفٌّ عَلَيْهِ عَدَدٌ مِنَ ٱلآنِيَةِ ٱلبَيْضاءِ هِيَ بُوتَقاتٌ مَصْنوعَةٌ مِنْ رَمادِ ٱلعَظْمِ ٱلمَسْحوقِ . وَكانَ بِالغُرْفَةِ آلَةٌ ضاغِطَةٌ (مِكْبَسٌ) مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي يُسْتَخْدَمُ في صُنْعِ تِلْكَ ٱلأَواني ، وَصُنْدوقٌ كَبيرٌ بِهِ رَمادُ ٱلعَظْمِ ٱلمَسْحُوقِ . وَلَمْ يَكُنْ رَمادُ ٱلعَظْمِ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلمَسْحوقِ جَيِّدًا كَما هُوَ مُعْتادٌ في صِناعَةِ ٱلآنِيَةِ . وَقَدْ لاحَظَ ثُورنْدَيك هٰذا فَوَضَعَ يَدَهُ في صُنْدوقِ ٱلمَسْحوقِ ثُمَّ نَظَّفَها بِمِنْدِيلِهِ .

قالَ شِيرْوُود : « يَبْدو أَنَّ هٰذِهِ ٱلصُّخورَ لا تَحْتَوي عَلى قَدْرٍ كافٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ . »

قالَ ثُورنْدَيك : « وَما رَأْيُكَ في هٰذِهِ ٱلقِطْعَةِ ؟ » وَأَعْطاهُ قِطْعَةَ ٱلصَّخْرِ ٱلَّتي كانَ قَدْ وَضَعَها في جَيْبِهِ .

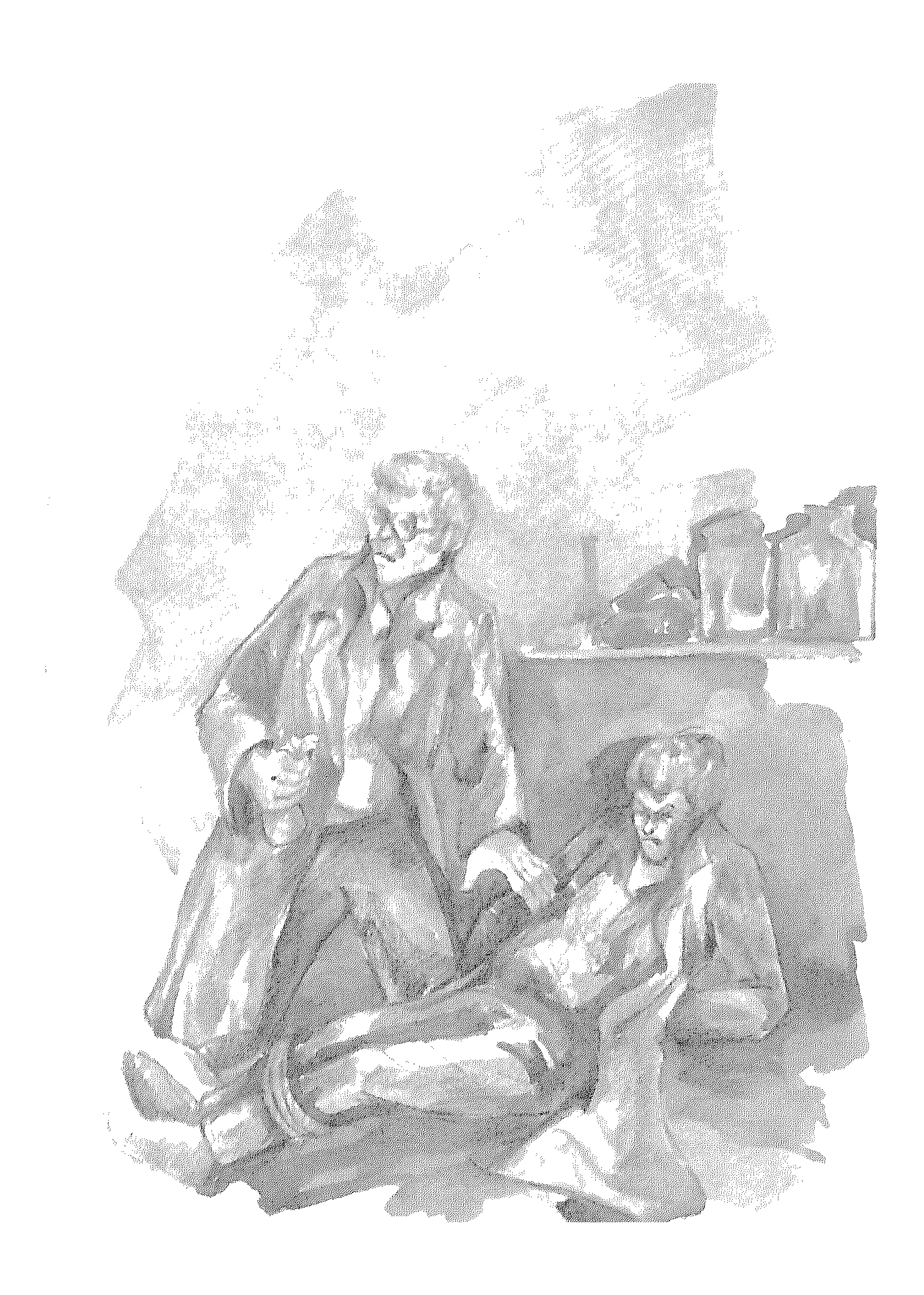
قالَ شِيرْوُود : « آهٍ ، يَبْدو أَنَّ هٰذِهِ ٱلقِطْعَةَ تُبَشِّرُ بِخَيْرٍ . إِنَّها غَنِيَّةٌ بِالذَّهَبِ فيما يَبْدو . »

إِنْدَهَشْتُ لِهٰذا ٱلقَوْلِ لِأَنِّي كُنْتُ أَعْرِف انَّها مِنْ ثاني كِبْرِتيد ٱلحَديدِ ، وَهِيَ صَخْرةٌ بِها نُقَطٌ صَفْراءُ لامِعةٌ تَبْدو كأَنَّها ذَهَبٌ ، وَلٰكِنَّها لا تَحْتَوي ذَهَبًا عَلى ٱلإِطْلاقِ ، وَلَيْسَتْ تِلْكَ ٱلنُّقَطُ إِلَّا نَوْعًا مِنَ ٱلحَديدِ ، وَمِنَ ٱليَسيرِ عَلى أَيِّ تِلْميذٍ أَنْ يَعْرِفَ هٰذا .

ذَهَبَ شِيرْوُود إلى ٱلنَّافِذةِ لِيَفْحَصَ قِطْعَةَ ٱلصَّخْرِ تَحْتَ ٱلضَّوْءِ ، وَفي نَفْسِ ٱلوَقْتِ ذَهَبَ ثُورنْدَيك إلى ٱلرَّفِّ ٱلَّذي تُوضَعُ عَلَيْهِ ٱلبُوتَقاتُ . أَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْها ، ثُمَّ أَخَذَ واحِدةً مِنْها وَبَدَأَ يَحُكُّها بِظِفْرِ إِصْبَعِهِ . وَعِنْدَما ٱسْتَدارَ شِيرْوُود وَرَأَى ذٰلِكَ ظَهَرَتْ عَلى وَجْهِهِ مَلامِحُ ٱلغَضَبِ وَٱلخَوْفِ . صاحَ : « ضَعْها مَكانَها ، أَلا تَسْمَعُني ؟ أَلْقِ بِها ! »

نَفَّذَ ثُورنْدَيك ما سَمِعَهُ فَأَلْقى بِٱلبُوتَقةِ إلى ٱلأَرْضِ ، فَٱنْكَسَرَتْ إلى قِطَعٍ صَغيرةٍ . وَكانَتْ إِحْدى هٰذِهِ ٱلقِطَعِ أَكْبَرَ مِنْ غَيْرِها ، فَأَخَذَها ثُورنْدَيك . وَكانَ بِوُسْعي أَنْ أَرى تِلْكَ ٱلقِطْعَةَ ــ لَقَدْ كانَتْ سِنًّا .

أَعْقَبَتْ ذٰلِكَ فَتْرةُ صَمْتٍ ، وَشَحَبَ وَجْهُ شِيرْوُود بِصُورةٍ مَلْحُوظةٍ . وَنَظَرَ إلى ثُورنْدَيك وَبَدَأَ يَنْزَعُ سُتْرَتَهُ ٱلبَيْضاءَ ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ في جَيْبِهِ . وَلٰكِنَّ ثُورنْدَيك أَمْسَكَ بِبُوتَقةٍ أُخرى وَأَلْقى بِها في وَجْهِهِ ، وَسَمِعْتُ صَوْتَ طَلْقةِ مُسَدَّسٍ فَجَرَيْتُ لِأُساعِدَ ثُورنْدَيك . وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ داعٍ لِذٰلِكَ ، فَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْ طَرْحِ ٱلرَّجُلِ أَرْضًا .



قالَ : « إِبْحَثْ عَنْ قِطْعةٍ مِنَ ٱلحَبْلِ يا جارْفِيز .» وَكانَ ثَمَّةَ عَدَدٌ مِنَ ٱلصَّناديقِ مَرْبوطةٍ بِحِبالٍ ، فَٱنْتَزَعْتُها وَأَوْثَقْتُ قَدَمَيِ ٱلرَّجُلِ وَرُكْبَتَيْهِ .

قالَ ثُورنْدَيك : « ٱلآنَ عَلَيْكَ أَنْ تُوثِقَ يَدَيْهِ ، وَسَوْفَ أُفَتِّشُ جُيوبَهُ ٱلدَّاخِليَّةَ . »

قُمْنا بِقَلْبِ ٱلرَّجُلِ عَلى ظَهْرِهِ .

قالَ ثُورنْدَيك : « آهِ ، أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا ما كُنَّا نَبْحَثُ عَنْهُ . »

كانَتْ في يَدِهِ رِزْمَةٌ صَغيرةٌ ، فَنَزَعَ غِلافَها ٱلخارِجيَّ ، ثُمَّ غِلافًا آخَرَ مِنَ ٱلوَرَقِ ٱلخَفيفِ ، وَظَهَرَتْ في يَدِهِ ياقوتَةٌ حَمْراءُ رائعةٌ . وَهٰكَذا تَمَّ ٱلعُثورُ عَلى ٱلياقُوتَةِ ٱلعَظيمةِ .

قالَ : « أَعْطِني ٱلمُسَدَّسَ يا جارْفِيز ، ثُمَّ ٱتَّصِلْ تِليفُونيًّا بِميلَر ، وَحاوِلْ أَنْ تَمْنَعَهُ منَ ٱلذَّهابِ إلى نيُوكاسِل . وَٱطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ إلى هُنا . أَوَدُّ أَنْ يَحْظَى هُوَ بِشَرَفِ إِنْجازِ هٰذا ٱلعَمَلِ . »

بَعْدَ رُبْعِ ساعةٍ وَصَلَ مِيلَر ، وَأَخَذَ شِيرْوُود مَعَهُ إلى سْكُوتْلانْديارْد .

سَأَلْتُ ثُورنْدَيك أَنْ يَشْرَحَ لي كَيْفَ تَمَكَّنَ مِنَ ٱلعُثورِ عَلى شِيرْوُود ٱلقاتِلِ .

قالَ : « لَقَدْ كانَتْ نُقْطةُ ٱلبِدايةِ في بَحْثي هِيَ ٱلقُبَّعَةَ وَقِطْعَةَ ٱلوَرَقِ ٱلَّتي

بداخِلِها : فَٱلعُنْوانُ ٱلمَكْتوبُ في ٱلوَرَقةِ عُنْوانُ مَكانٍ يَنْتَهي بِحَرْفِ n في ٱلجُزْءِ ٱلغَرْبيِّ مِنْ وَسَطِ لَنْدَن . ما هِيَ ٱلأَماكِنُ ٱلمَوْجودةُ في ٱلجُزْءِ ٱلغَرْبيِّ مِنْ وَسَطِ لَنْدَن وتَنْتَهي بـ n ؟ لَيْسَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ يُشيرَ هٰذا ٱلحَرْفُ إلى كَلِمةِ طَريقٍ ، أَوْ شارِعٍ ، أَوْ مَيْدانٍ . لا بُدَّ أَنْ يُشيرَ إلى كَلِمةِ (inn) وَهُناكَ بَعْضُ ٱلمَباني ٱلقَديمةِ ٱلمُسْتَخْدَمةِ كَمَكاتِبَ أَوْ غُرَفٍ لِلإيجارِ، مِثْلِ لِنْكولن إِنْ وَغريز إِنْ وكلِيفوردْز إِنْ . وَكلِيفوردْز إِنْ في ٱلجُزْءِ ٱلغَرْبيِّ مِنْ وَسَطِ لَنْدَن . وَكانَتْ ضِمْنَ ٱلأَوْراقِ وَرَقةٌ كُتِبَ عَلَيْها ما يَلي :

3 oz 5 dwt. Fl ——— 9 1/2 oz

« وقد فَسَّرْتُ هٰذِهِ ٱلرُّموزَ كَما يَلي : dwt هِيَ ٱخْتِصارٌ لِكَلِمةِ penny weight ، وَهِيَ تَعْني ١/٢٠ مِنْ أُوقيَّةِ تْرُوْي . وَهِيَ وَحْدةٌ لا تُسْتَخْدَمُ إلّا في وَزْنِ ٱلجَواهِرِ وَٱلمَعادِنِ ٱلثَّمينةِ وَخُصوصًا ٱلذَّهَبَ . أَمّا ٱلرَّمْزُ —Fl فَقَدْ يُشيرُ إلى كَلِمةِ floor بِمَعْنى أَرْضٍ — وَرُبَّما كانَ في ذٰلِكَ إشارةٌ إلى كُناسةِ ٱلأَرْضِ — ذٰلِكَ أَنَّ ٱلتُّرابَ ٱلَّذي يَجْري كَنْسُهُ مِنْ دُكّانِ ٱلصّائِغِ دائمًا يَحْتَوي عَلى بُرادةِ ٱلذَّهَبِ . وَلِهٰذا فَإِنَّهُمْ يُرسِلونَهُ إلى ٱلعامِلينَ في ٱسْتِخْراجِ ٱلمَعادِنِ لِيَفْصِلوهُ وَيُعيدوهُ إلَيْهِمْ نَقِيًّا . وَرُبَّما كانَ ٱلرَّقْمُ ٱلأَوَّلُ (3 oz 5 dwt) وَزْنَ ٱلذَّهَبِ ٱلَّذي أَمْكَنَ ٱسْتِخْلاصُهُ مِنَ ٱلتُّرابِ ، أَوْ وَزْنَ أَيِّ مَعْدِنٍ آخَرَ .

« وَقَدْ وَجَدَ بُولْتُون بَعْضَ اثارٍ مِنَ ٱلرَّصاصِ وَرَمادِ ٱلعَظْمِ في ٱلتُّرابِ

ٱلَّذي أَمْكَنَني ٱستِخْلاصُهُ بِالفُرْشةِ مِنْ ظاهِرِ قُبَّعةِ ٱلقاتِلِ . وَٱلمَعْروفُ أَنَّهُ لِاسْتِخْلاصِ ٱلذَّهَبِ ٱلخالِصِ مِنْ إحْدى ٱلسَّبائِكِ فَإِنَّها تُصْهَرُ مَعَ ٱلرَّصاصِ في بُوْتَقةٍ مَصْنوعةٍ مِنْ رَمادِ ٱلعَظْمِ . وَيَقومُ هٰذا ٱلرَّمادُ بِٱمْتِصاصِ ٱلمَعادِنِ ٱلأُخرى فَلا يَتَبَقّى إِلّا ٱلذَّهَبُ ٱلخالِصُ .

« وَيَحْتاجُ ٱلعامِلُ في هٰذِهِ ٱلصِّناعةِ إلى أَفْرانٍ . وَقَدْ وَجَدْنا في إحْدى ٱلأَوْراقِ بِالقُبَّعةِ قائمةً بِأَثْمانِ هٰذِهِ ٱلأَفْرانِ ـــ وَقَدْ أَرْشَدَني هٰذا إلى ٱلاتِّجاهِ ٱلَّذي يَجِبُ أَنْ أَسْلُكَهُ في ٱلبَحْثِ ؛ إذْ عَلَيَّ أَنْ أَبْحَثَ عَنْ عامِلٍ في صِياغةِ ٱلمَعادِنِ يَسْكُنُ في أَحَدِ ٱلأَبْنِيةِ ٱلَّتي يَنْتَهي ٱسمُها بِكَلِمةِ « inn » ، فَوَصَلْتُ بِذٰلِكَ إلى ٱلسَّيِّدِ هايْلِي في ٱلشَّقَّةِ رَقْمِ ٥١ بكلِيفوردْز إنْ.»

قُلْتُ : « وَفي كلِيفوردْز إنْ وَجَدْنا ٱلقُبَّعةَ ٱلمَفْقودةَ ، وَهِيَ قُبَّعةُ ٱلسَّيِّدِ بيرامْجي ٱلَّتي كانَ ٱلقاتِلُ قَدْ أَخَذَها مَعَهُ خَطَأً . »

قالَ ثُورنْدَيك : « نَعَمْ ! كانَ ٱلقاتِلُ يَعيشُ في ٱلشَّقَّةِ ٱلمَوْجودةِ بِالدَّوْرِ ٱلأَوَّلِ تَحْتَ ٱسْمِ كارِينْغتُون ، وَتَرَكَ ٱلقُبَّعةَ هُناكَ . وَكانَ ٱلهَدَفُ مِنَ ٱلخِطابِ ٱلَّذي أَرْسَلَهُ إلى لارْكِن أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ كارِينْغتُون ـــ بِما فيهِمُ ٱلشُّرْطةُ ـــ أَنَّهُ قَدْ سافَرَ إلى ٱلسُّوَيْدِ . وَلٰكِنَّ قُبَّعةَ ٱلقاتِلِ هِيَ قُبَّعةُ عامِلٍ في صِياغةِ ٱلمَعادِنِ ، وَكانَ هٰذا هُوَ عَمَلَ ٱلسَّيِّدِ هايْلِي ٱلَّذي يَعيشُ في ٱلغُرْفةِ ٱلعُلْيا . وَلِهٰذا فَإِنَّ ٱلقُبَّعةَ ٱلَّتي كانَتْ عِنْدَ ٱلقَتيلِ هِيَ قُبَّعةُ

ٱلسَّيِّدِ هايْلِي . رُبَّما تَكُونُ قُصاصاتُ ٱلوَرَقِ قَدْ وُضِعَتْ بِداخِلِها كَيْ تُناسِبَ رَأْسَ رَجُلٍ آخَرَ ، هُوَ ٱلقاتِلُ . وَإِذا كانَ هٰذا صَحِيحًا ، فَأَيْنَ كانَ ٱلسَّيِّدُ هايْلِي ؟ »

« لَقَدْ لاحَظْتُ أَنَّكَ نَظَرْتَ إِلى عَدّادِ ٱلغازِ ، كَما لاحَظْتُ أَيْضًا ٱلطَّرِيقَةَ ٱلَّتِي صافَحْتَ بِها ٱلرَّجُلَ . »

« نَعَمْ ، لَقَدْ نَظَرْتُ إِلى ٱلعَدّادِ لِأَرى كَمِّيَّةَ ٱلغازِ ٱلَّتِي ٱسْتَخْدَمَها مُؤَخَّرًا . لَقَدْ كانَتْ عِنْدِي فِكْرَةٌ عَمّا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصابَ هايْلِي مِنْ مَرَضٍ جِلْدِيٍّ ؛ ذٰلِكَ أَنَّ بَصَماتِ ٱلأَصابِعِ ٱلَّتِي أَرانِيها مِيلَر كانَتْ بَصَماتِ شَخْصٍ مُصابٍ بِمَرَضٍ جِلْدِيٍّ هُوَ ' اِلتِهابُ ٱلجِلْدِ ٱلجافُّ ' . وَعِنْدَما صافَحَنِي ٱلرَّجُلُ عَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ أَنْ أُصِيبَ بِهٰذا ٱلمَرَضِ . »

قُلْتُ : « لَقَدْ بَدا شِيرْوُود جاهِلًا صِناعَةَ ٱلمَعادِنِ . »

قالَ ثُورنْدَيك : « آهٍ ، لَقَدْ لاحَظْتُ ذٰلِكَ . وَلٰكِنْ فِي إِمْكانِهِ هُنا ، فِي وَرْشَةِ صائِغِ ٱلمَعادِنِ أَنْ يَجِدَ وَسِيلَةً مُمْتازَةً لِلتَّخَلُّصِ مِنْ جُثَّةِ أَيِّ إِنْسانٍ يَقْضِي عَلَيْهِ . مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ٱلفُرْنَ ٱلكَبِيرَ فِي إِحْراقِ كُلِّ شَيْءٍ ، بِٱسْتِثْناءِ ٱلعِظامِ وَٱلأَسْنانِ . وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَسْحَقَ ٱلعِظامَ وَيُحَوِّلَها إِلى رَمادٍ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذِي يَسْتَخْدِمُهُ صائِغُو ٱلمَعادِنِ فِي عَمَلِ ٱلبُوتَقاتِ . وَقَدْ لاحَظْتُ أَنَّ مَسْحوقَ ٱلعَظْمِ لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلنّاعِمِ ٱلَّذِي يَسْتَخْدِمُهُ

رِجالُ ٱلمَعادِنِ في أَعْمالِهِمْ ، ثُمَّ وَجَدْتُ تِلْكَ ٱلسِّـــنَّ في ٱلوِعاءِ . »

قُلْتُ : « عِنْدَما رَأَى ٱلسِّـــنَّ في يَدِكَ عَرَفَ أَنَّ نِهايَتَهُ قَدْ حانَتْ . »

في ٱليَوْمِ ٱلثّاني مِنْ أُغُسْطُس (آب) مِنْ كُلِّ عامٍ ، كُنّا نَتَسَلَّمُ صُنْدوقًا جَميلًا مِنَ ٱلسِّجارِ ٱلمَصْنوعِ مِنَ ٱلتَّبْغِ ، مَعَ خِطابٍ مِنَ ٱلسَّـيِّدِ بيرامْجي .

إِنَّ ٱليَوْمَ ٱلثّانيَ مِنْ أُغُسْطُس هُوَ ٱليَوْمُ ٱلَّذي أُعْدِمَ فيهِ شَنْقًا كُورْنيلْيُوس بارْنِت ٱلَّذي كانَ مَعْروفًا بِٱسْمِ رَجُلِ نيُوجيرْسي ٱلغامِضِ .

قِصَّةُ ٱلفَتاةِ ٱلبَرِيئةِ
تأليف : مارْغري أَلِنْغام

اِسْمي جِيلْيان برايْتُون . ماتَ والِداي غَرَقًا في ٱلبَحْرِ ، وَأَصْبَحْتُ تَحْتَ وِصايةِ عَمِّيَ ٱلَّذي أَرْسَلَني إلى مَدْرَسةِ تُوتَامْ آبِي ؛ وَهِيَ مَدْرَسةٌ تَقومُ بِتَعْليمِ بَناتِ ٱلأَثْرِياءِ . وَقَدْ رَبَّاني عَمِّي لِأُصْبِحَ سَيِّدةً ذاتَ ثَراءٍ ، وَلٰكِنَّ ٱلَّذي حَدَثَ هُوَ أَنَّ عَمِّيَ غَرَّاي خَسِرَ كُلَّ نُقودِهِ ، وَماتَ بِدُونِ أَنْ يَتْرُكَ لي شَيْئًا .

كانَ لِلآنِسةِ إِثِيل فِرِيدْمان مَتْجَرٌ لِبَيْعِ ٱلمَلابِسِ ٱسْمُهُ « مَدام كلُوتِيلْد » ، وَقَدِ ٱسْتَخْدَمَتْني لِلْعَمَلِ في مَتْجَرِها لِتَجْتَذِبَ رَفيقاتِ ٱلدِّراسةِ مِنَ ٱلبَناتِ ٱلثَّرِيَّاتِ كَيْ يَشْتَرينَ مَلابِسَهُنَّ مِنِّي . وَلٰكِنَّها كانَتْ تُعْطِيني أَجْرًا ضَئِيلًا ، وَكُنْتُ آنَذاكَ أَعِيشُ في مَسْكَنٍ مُتَواضِعٍ مَعَ ٱلسَّيِّدةِ أُوسْتِن .

تَلَقَّيْتُ دَعْوةً لِحُضورِ حَفْلٍ في مَدْرَسةِ تُوتَام آبي ؛ إِذْ كانَتْ ناظِرةُ ٱلمَدْرَسةِ ٱلآنِسةُ إفانْغلِين بَدْ سَتَتَقاعَدُ ، فَأُقيمَ حَفْلٌ عَلى شَرَفِها ، دُعِيَ لِحُضورِهِ كُلُّ ٱلطَّالِباتِ ٱلقُدامى ٱللَّاتي كُنَّ بِٱلمَدْرَسةِ . وَكُنْتُ غَيْرَ راغِبةٍ

فِي حُضورِ هٰذا ٱلحَفْلِ ، وَلٰكِنِّي ـــ لِفَرْطِ سَذاجَتي ـــ أُخْبَرْتُ ٱلآنِسةَ إِثيل فْرِيدْمان بِهِ .

قالَتْ : « بِالطَّبْعِ يَجِبُ عَلَيْكِ أَنْ تَذْهَبي . إذا كانَتْ صَديقاتُكِ ٱلثَّرِيَّاتُ لا يُرِدْنَ أَنْ يَأْتِينَ إلى هُنا ، فَعَلَيْكِ أَنْ تَأْخُذي ٱلبِضاعةَ إِلَيْهِنَّ . في وُسْعِكِ أَنْ تَأْخُذي إجازةً طَوالَ ٱليَوْمِ ، وَأَنْ تَلْبَسي ٱلقُبَّعةَ ٱلرَّمادِيَّةَ مِنْ طِرازِ لُوجين ٱلَّتي أَحْضَرْتُها مِنْ فَرَنْسا . قولي لَهُنَّ إِنَّهُ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ أَقومَ بِتَفْصيلِ مَثيلاتٍ لَها هُنا ، وَبِأَيِّ لَوْنٍ . وَسَيَكونُ ثَمَنُها عَشَرةَ جُنَيْهاتٍ فَقَطْ ، مَعَ أَنَّها تُساوي عِشْرينَ جُنَيْهًا . »

كانَ ٱلحَفْلُ أَسْوَأَ مِمَّا تَوَقَّعْتُ . كانَتِ ٱلمَدْرَسةُ وَٱلحَدائِقُ في غايةِ ٱلجَمالِ ، وَلٰكِنَّ ٱلقُبَّعةَ كانَتْ غَيْرَ مُناسِبةٍ مُطْلَقًا . وَعِنْدَما دَخَلْتُ قابَلْتُ بَنْش هَوارْث ، وَرَأَيْتُها وَهِيَ تَنْظُرُ إلى ٱلقُبَّعةِ . وَكانَتْ تَرْتَدي مَلابِسَ في غايةِ ٱلأَناقةِ ، مِمَّا جَعَلَني أَشْعُرُ بِالضَّعةِ وَأَنا أَرْتَدي تِلْكَ ٱلقُبَّعةَ .

قالَتْ : « يَسُرُّني كَثيرًا أَنَّكِ أَتَيْتِ . »

قُلْتُ : « لَقَدْ كُنْتُ دائِمًا أُحِبُّ ٱلآنِسةَ بَدْ . لا تُواصِلي ٱلنَّظَرَ إلى قُبَّعَتي .. أَنا أَعْرِفُ أَنَّها قَبيحَةٌ . هَلْ تَأَخَّرْتُ ؟ »

« نَعَمْ تَأَخَّرْتِ . لَقَدْ كُنْتُ بِالقاعةِ ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْها ، وَلَقَدْ حَضَرَ



ٱلجَميعُ حَتَّى تِلْكَ ٱلمَرْأَةُ ٱلَّتي لا تُحْتَمَلُ ريتا فِير . لَقَدْ كانَ ٱسْمُها ريتا ريفِن قَبْلَ أَنْ تَتَزَوَّجَ مِنْ جُولْيان فِير . »

« لَقَدْ تَرَكَتِ ٱلمَدْرَسةَ بَعْدَ ٱلْتِحاقي بِها بِفَتْرَةٍ قَصيرةٍ ، وَلَمْ يَسْبِقْ لَنا أَنْ تَحادَثْنا قَطُّ . إنَّها في حَوالى ٱلثَّلاثينَ مِنَ ٱلعُمْرِ ، أَلَيْسَ كَذٰلكَ ؟ »

« تَقْريبًا . وَقَدْ تَكونُ في غايةِ ٱلثَّراءِ ، لٰكِنَّها لَيْسَتِ ٱلشَّخْصَ ٱلمُناسِبَ لِتُوتام آبي . إنَّها تَبْدو لُغْزًا . »

قُلْتُ : « وَكَيْفَ ذٰلِكَ ؟ لِماذا تَعْتَبِرينَها لُغْزًا ؟ »

قالَتْ بَنْش : « بَعْدَ أَنْ غابَتْ في أُورُوبّا مُدَّةَ ثماني أَوْ تِسْعِ سَنَواتٍ ، عادَتْ وَتَزَوَّجَتْ مِنْ فِير . إِنَّها تُقيمُ حَفَلاتٍ رائِعةً ، وَكَثيرًا ما يَظْهَرُ ٱسْمُها في ٱلصُّحُفِ بِسَبَبِ لَوْحاتِها ٱلَّتي أَعْتَبِرُها غَريبَةً وَقَبيحَةً . أَمَّا زَوْجُها جُولْيان فِير فَيَنْحَدِرُ مِنْ عائِلَةٍ عَريقَةٍ وَيَعيشُ في مَنْزِلٍ قَديمٍ جَميلٍ . إِنَّها لَيْسَتِ ٱلزَّوْجةَ ٱلمُناسِبةَ لَهُ ، وَلا ٱلسَّيِّدةَ ٱلمُناسِبةَ لِذٰلِكَ ٱلمَنْزِلِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ تِلْكَ ٱلحَفَلاتِ ٱلصَّاخِبةَ لا تُعْجِبُهُ ، وَلا تَليقُ بِذٰلِكَ ٱلبَيْتِ ٱلعَريقِ . »

تَرَكْتُ بَنْش ، وَدَخَلْتُ ٱلقاعةَ ، وَصافَحْتُ ٱلآنِسةَ بَدْ . وَرَأَيْتُ رِيتا فِير عَلى ٱلفَوْرِ ، فَقَدْ كانَ حَوْلَها حَشْدٌ مِنَ ٱلمَدْعُوّاتِ يَزيدُ عَلى ٱلقَليلاتِ



آلمُحيطاتِ بالآنِسةِ بَدْ ، لَقَدْ كانَتْ عَيْناها لامِعَتَيْنِ لِلغايةِ ، وَكانَتْ مَلابِسُها أنيقةً ، وَعَلى آلرَّغْمِ مِنْ أنَّها لَمْ تَكُنْ جَميلةً ، فَإنَّها كانَتْ جَذّابةً . وَآقْتَنَعْتُ بِأنَّ هٰذا سَبَبُ ظُهورِ آسْمِها في آلصُّحُفِ .

لَمْ أقْتَرِبْ مِنْها ؛ إذْ إنَّني لَمْ أكُنْ أعْرِفُها ، فَلَمْ نَتَحَدَّثْ قَطُّ ، وَلَيْسَ مِنَ آلمُمْكِنِ أنْ تَذْكُرَني . وَبَيْنَما كُنْتُ أتَحَدَّثُ مَعَ إحْدى آلحاضِراتِ بَعيدًا عَنْها ، أحْسَسْتُ بِذِراعٍ تُحيطُ بِكَتِفي وَتَسْحَبُني بِلُطْفٍ .

« أهْلًا يا عَزيزَتي . لَقَدِ آلْتَقَيْنا أخيرًا ! كَمْ أصْبَحْتِ جَميلةً ! »

وَقامَتْ رِيتا فِير بِتَقْبيلي . إعْتَقَدْتُ أنَّها لا شَكَّ قَدْ أخْطَأَتْ ، فَقُلْتُ لَها : « أنا جِيلْيان برايْتُون . »

قالَتْ : « طَبْعًا . ألا يَبْدو لَكِ أنَّهُ قَدْ مَضى وَقْتٌ طَويلٌ مُنْذُ كُنّا نَلْعَبُ مَعًا ، وَنَتَقاسَمُ آلحَلْوَياتِ في أيّامِ آلآحادِ بَعْدَ آلظُّهْرِ ؟ »

وَلٰكِنْ لَمْ يَحْدُثْ أنْ كُنّا نَلْعَبُ مَعًا ، أوْ نَأْكُلُ آلحَلْوَياتِ مَعًا ، فَقَدْ كانَتْ أكْبَرَ مِنّي سِنًّا ، وَلَمْ أكُنْ أعْرِفُها جَيِّدًا . وَلٰكِنَّني آلْتَزَمْتُ آلصَّمْتَ ، فَقَدْ كانَ جَميلًا مِنْها أنْ تَقولَ إنَّها صَديقَتي ، وَلٰكِنْ مِنَ آلصَّعْبِ أنْ أُدْرِكَ لِماذا فَعَلَتْ ذٰلِكَ . لَقَدْ سَحَبَتْني مِنْ ذِراعي ، وَقادَتْني عَبْرَ آلقاعةِ . وَكُنْتُ أُحِسُّ آنَئِذٍ كَأنّي أميرةٌ في صُحْبةِ مَلِكةٍ .

قالَتْ عِنْدَما وَصَلْنا إلى ٱلبابِ ٱلرَّئيسِيِّ : « هَيَّا بِنا نَخْرُجْ مِنْ هُنا ، فَلا بُدَّ أَنْ نَتَحَدَّثَ مَعًا . سَوْفَ آخُذُكِ مَعي في سَيّارَتي إلى ٱلمَدينَةِ . »

قُلْتُ : « جَميلٌ مِنْكِ أَنْ تَطْلُبي مِنّي هٰذا ، وَلٰكِنْ .. »

« لَقَدْ جِئْتُ ٱليَوْمَ خُصوصًا لِأَراكِ ، وَثَمَّةَ مَوْضوعٌ مُهِمٌّ أُريدُ أَنْ أُحادِثَكِ فيهِ . يا عَزيزَتي جيلِي ٱلبَريئَةَ ٱلصَّغيرةَ ــ إنَّكِ لَمْ تَتَغَيَّري . لَكَمْ أَنا مَسْرورَةٌ بِلِقائِكِ ! لَقَدْ كُنْتُ أُسائِلُ نَفْسي كَيْفَ سَتَكونينَ بَعْدَ قَضاءِ سَنَةٍ في لَنْدَن . كَيْفَ حالُ أَصْدِقائِكِ ٱلشُّبّانِ ؟ »

قُلْتُ : « لَيْسَ لي أَيُّ أَصْدِقاءَ مِنَ ٱلشُّبّانِ . » وَلاحَظْتُ أَنَّ إجابَتي تِلْكَ قَدْ سَرَّتْها . ثُمَّ دَخَلْنا سَيّارَتَها ٱلكَبيرةَ ٱلفاخِرةَ .

« أَعْتَقِدُ أَنَّ كلُوثِيلْد هِيَ ٱلَّتي جَعَلَتْكِ تَلْبَسينَ هٰذِهِ ٱلقُبَّعَةَ آمِلةً أَنْ تَحْصُلَ عَلى طَلَباتِ شِراءٍ . إنَّ ٱلقُبَّعةَ لا تُناسِبُكِ . لَقَدْ آنَ لَكِ أَنْ تَتَوَقَّفي عَنِ ٱلعَمَلِ لَدى كلُوثِيلْد . سَوْفَ آخُذُكِ مَعي إلى بَيْتي . وَسَوْفَ نُعَرِّجُ ٱلآنَ عَلى غُرْفَتِكِ وَنَأْخُذُ أَمْتِعَتَكِ كَيْ تَعيشي مَعي . »

« وَلٰكِنْ لِماذا ؟ أَنْتِ في ٱلحَقيقَةِ لا تَعْرِفينَني . »

كَيْفَ عَرَفَتْ بِعَمَلي في مَتْجَرِ كلُوثِيلْد ، وَبِأَنّي أَسْتَأْجِرُ غُرْفَةً أَسْكُنُها ؟ لا بُدَّ أَنَّها تَحَرَّتْ عَنّي .

قالَتْ : « اِسْتَمِعي إلَيَّ يا جِيلي . أُريدُكِ أَنْ تَأْتي مَعي . إنَّني أَعْرِضُ عَلَيْكِ ثَلاثَمِئةِ جُنَيْهٍ في ٱلعامِ ، وَبِطَبيعةِ ٱلحالِ سَتَعيشينَ مَعي . إنّي بِحاجةٍ إلى مَنْ أَثِقُ بِها كَي تَكونَ كَأُخْتٍ صَغيرةٍ لي ، تَقومُ بِتَرْتيبِ ٱلزُّهورِ وَمِثْلِ هٰذِهِ ٱلأُمورِ . »

لَقَدْ أَخَذَتْني ٱلدَّهْشةُ كُلَّ مَأْخَذٍ ، مِمَّا جَعَلَني أُنَفِّذُ كُلَّ ما قالَتْهُ لي . وَعِنْدَما ذَهَبْنا إلى ٱلشَّارِعِ ٱلخَلْفِيِّ ٱلصَّغيرِ ، كانَ ٱلنَّاسُ يُراقِبونَ بِٱهْتِمامٍ تِلْكَ ٱلسَّيَّارَةَ ٱلكَبيرةَ ، وَذٰلِكَ ٱلمِعْطَفَ ٱلَّذي كانَتْ رِيتا تَرْتَديهِ ، وَهُوَ مَصْنوعٌ مِنَ ٱلفِراءِ ٱلثَّمينِ .

أَمَّا ٱلسَّيِّدةُ أُوسْتِن فَقَدْ أَخَذَتْني جانِبًا وَقالَتْ : « هَلْ أَنْتِ مُتَأَكِّدةٌ ، يا عَزيزَتي أَنَّها صادِقةٌ فيما تَقولُ ؟ إنَّني قَلِقَةٌ . فَكَثيرًا ما أَقْرَأُ في ٱلصُّحُفِ عَنْ مِثْلِ هٰذِهِ ٱلتَّصَرُّفاتِ ٱلغَريبةِ . كُوني حَريصةً . »

كانَ بَيْتًا جَميلًا تُحيطُ بِهِ ٱلحَدائِقُ ٱلغَنَّاءُ ٱلمُمْتَدَّةُ حَتَّى شاطِئَ ٱلنَّهْرِ . دَخَلْنا قاعةً فَسيحةً ، وَحَمَلَ ٱلسَّائِقُ أَمْتِعَتي إلى ٱلدَّاخِلِ . ثُمَّ جاءَ خادِمٌ عَجوزٌ لِلِقائِنا ، وَيَبْدو أَنَّهُ كانَ يَتَوَقَّعُ قُدومَنا . بَدا جَوُّ ٱلبَيْتِ مُريحًا ، وَلٰكِنْ حَدَثَ ما جَعَلَني أَشُكُّ في هٰذا ؛ ذٰلِكَ أَنَّ رِيتا قالَتْ شَيْئًا لِلْخادِمِ ٱلعَجوزِ (وَكانَ يُدْعى رُودْكِين) وَعِنْدَما أَدارَتْ ظَهْرَها رَأَيْتُ في عَيْنَيْهِ نَظْرَةَ

كَراهِيَةٍ شَديدةٍ . قُلْتُ في نَفْسي : « يَبْدو أَنَّني سَأَكْتَشِفُ أُمورًا كَثيرَةً عَنْ رِيتا . »

أَحاطَتْني رِيتا بِذِراعَيْها وَقالَتْ : « سَوْفَ نَذْهَبُ لِنَرى مَنْ في ٱلإِسْتُدْيو (غُرْفَةِ ٱلرَّسْمِ) . » مَشَيْنا عَبْرَ قَبْوٍ في آخِرِ مَمَرٌّ طَويلٍ ، وَدَخَلْنا غُرْفَةً واسِعَةً بِها لَوْحاتٌ مُعَلَّقَةٌ عَلى ٱلجُدْرانِ ٱلرَّمادِيَّةِ . لَقَدْ كانَتْ فيما مَضى غُرْفَةً جَميلَةً عَريقَةَ ٱلطِّرازِ ، وَلٰكِنْ أُعيدَ طِلاؤُها لِتَبْدُوَ حَديثَةً . لَقَدْ أَفْسَدُوها . حَتَّى ٱلمَكْتَبَةُ ٱلجَميلَةُ ٱلَّتي كانَتْ في رُكْنِ ٱلغُرْفَةِ أَفْسَدوها



كَذٰلِكَ ، وَطَلَوْها بِٱللَّوْنِ ٱلأَبْيَضِ ، وَمُلِئَتْ رُفوفُها بِٱلزُّجاجاتِ وَٱلأَكْوابِ بَدَلًا مِنَ ٱلكُتُبِ .

كانَ بِالغُرْفةِ عَشَرَةُ أَشْخاصٍ أَوِ ٱثْنا عَشَرَ شَخْصًا يَشْرَبونَ ٱلشّايَ . قالَتْ رِيتا : « أُقَدِّمُ لَكُمْ زَميلةَ ٱلدِّراسةِ . إِنَّها سَتَعيشُ هُنا مَعي لِتُصْبِحَ أُخْتًا لي . »

قادَتْني عَبْرَ ٱلغُرْفةِ لِأُقابِلَ رَجُلًا يَجْلِسُ عَلى كُرْسِيٍّ كَبيرٍ لِلْغايةِ . كانَ ٱلرَّجُلُ يَرْقُبُني ، وَعِنْدَما ٱقْتَرَبْتُ مِنْهُ قامَ . لَقَدْ كانَ أَجْنَبِيًّا مُتَوَسِّطَ ٱلعُمْرِ ، ذا وَجْهٍ كَبيرٍ شاحِبٍ وَلِحْيةٍ صَغيرةٍ سَوْداءَ . لَمْ يَرُقْني مَنْظَرُهُ وَتَمَنَّيْتُ أَلّا يَكونَ زَوْجَ رِيتا .

قالَتْ رِيتا : « أُقَدِّمُ لَكِ ٱلدُّكْتور هَنْري فُويْس . »

قالَ لي : « إِنَّ ٱلسَّيِّدةَ فِير رَسّامةٌ ، وَأَنا مُديرُ أَعْمالِها . »

بَدَأَتْ رِيتا تَتَحَدَّثُ عَنِ ٱلحَفْلِ ٱلَّذي أُقيمَ بِالمَدْرَسةِ ، وَكانَ ٱلدُّكْتور فُويْس يَبْتَسِمُ وَيَتَظاهَرُ بِالإِنْصاتِ ، وَلٰكِنَّ عَيْنَيْهِ لَمْ تَتَحَوَّلا عَنْ وَجْهي .

قالَ أَخيرًا : « وَهٰكَذا وَجَدْتِ هٰذِهِ ٱلشّابَّةَ . »

« نَعَمْ ، لَقَدْ كانَتْ صَديقَتي ٱلحَقيقِيَّةَ ٱلوَحيدةَ بِالمَدْرَسةِ . أَ لَيْسَتْ جَميلةً ؟ »

« بلَى ، وَلٰكِنَّ ٱلقُبَّعةَ لَيْسَتْ جَميلةً . لِماذا تَلْبَسينَها يا آنِسةُ برايْتُون ؟ »

أَدْهَشَني أَنَّهُ يَعْرِفُ ٱسْمي . كَيْفَ عَرَفَ ذٰلِكَ ؟ إنَّ أَحَدًا لَمْ يُخْبِرْهُ بِهِ . قالَتْ رِيتا : « إِخْلَعي ٱلقُبَّعةَ . » وَقامَ فُويْبُس وَأَخَذَها بِيَدَيْهِ ٱلسَّمينَتَيْنِ قائلًا : « إنَّني أَمْنَعُكِ مِنْ لُبْسِها . » ثُمَّ سارَ عَبْرَ ٱلغُرْفةِ وَأَلْقى ٱلقُبَّعةَ في ٱلنَّارِ .

قالَتْ رِيتا : « لا بَأْسَ ، سَوْفَ نَشْرَحُ ٱلأَمْرَ لِمَتْجَرِ كلُوثِيلْد ، وَنَدْفَعُ ثَمَنَ ٱلقُبَّعةِ . »

كانوا يُعامِلُونَني كَما لَوْ كُنْتُ دُمْيةً صَغيرةً جَميلةً . كانَتْ رِيتا مُتَحَمِّسةً ، وَبَدا عَلَيْها أَنَّها مَسْرورةٌ بِنَجاحِها . أَمَّا فُويْبُس فَقَدْ بَدا غَيْرَ مُرْتاحٍ تُساوِرُهُ ٱلشُّكوكُ .

سأَلَتْهُ رِيتا : « ما رَأْيُكَ فيها يا هَنْري . أَ لَيْسَتِ ٱلشَّخْصَ ٱلمُناسِبَ ؟ »

نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرةً جادَّةً وَقالَ : « مُمْتازةٌ ! أَنْتِ سَيِّدةٌ مُمْتازةٌ يا رِيتا ! وَفي غايةِ ٱلمَهارةِ ! أَنْتِ ماهِرةٌ لِدَرَجةٍ مُخيفةٍ ! »

شَدَّتْ رِيتا قَبْضَتَها عَلى ذِراعي وَقالَتْ : « اِذْهَبي ٱلآنَ إلى غُرْفَتِكِ يا جِيلي . أَ لَدَيْكِ مانِعٌ ؟ سَلِي أَحَدَ ٱلخَدَمِ عَنْها . » وَفَجْأَةً شَحَبَ وَجْهُها لِلْغايةِ وَتَحاشَتْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ .

كانَتْ غُرْفةُ نَوْمي في ٱلجُزْءِ ٱلقَديمِ مِنَ ٱلبَيْتِ ، وَعِنْدَما كُنْتُ أَقومُ بِفَتْحِ آخِرِ حَقيبةٍ مِنْ حَقائِبي دَخَلَتْ رِيتا ٱلغُرْفةَ مُرْتَدِيةً رِداءً حَريرِيًّا أَبْيَضَ مُحَلًّى بِٱلماسِ .

قالَتْ : « أَنا في عَجَلَةٍ مِنْ أَمْري ، وَيُؤْسِفُني أَنْ أُضْطَرَّ إِلى ٱلخُروجِ في أَوَّلِ لَيْلةٍ لَكِ مَعَنا . سَوْفَ نَتَحَدَّثُ غَدًا ، وَسَوْفَ تُعِدُّ لَكِ ٱلسَّيِّدةُ مَنْسِن عَشاءً جَيِّدًا . خُذي راحَتَكِ . » ثُمَّ أَسْرَعَتْ إِلى ٱلدَّوْرِ ٱلأَرْضِيِّ لِتُقابِلَ فُويْبُس .

تَناوَلْتُ ٱلعَشاءَ وَحيدةً في غُرْفةٍ كَبيرةٍ تَتَّسِعُ لِثَلاثينَ شَخْصًا ، وَكانَ رُودْكِين يَخْدُمُني عَلى ٱلمائِدةِ . قُلْتُ : « الجَوُّ لَطيفٌ ٱليَوْمَ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ » وَلٰكِنَّهُ لَمْ يُجِبْ . لَقَدْ كانَ مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّهُ يَكْرَهُ ، بَلْ يَمْقُتُ رِيتا وَكُلَّ أَصْدِقائِها .

وَعِنْدَما فَرَغْتُ مِنْ تَناوُلِ عَشائي قالَ : « رُبَّما تُفَضِّلينَ أَنْ تَجْلِسي في غُرْفةِ ٱلجُلوسِ ٱلصَّغيرةِ يا آنِسةُ . »

وَسارَ أَمامي عَبْرَ ٱلغُرْفةِ ٱلكَبيرةِ ، ثُمَّ فَتَحَ غُرْفةً جَميلةَ ٱلأَثاثِ . لَقَدْ كانَتْ كُلُّ قِطَعِ ٱلأَثاثِ مُنْتَقاةً بِعِنايةٍ كَبيرةٍ . وَلَمْ يَكُنْ ذَوْقُ تِلْكَ ٱلغُرْفةِ مُشابِهًا لِذَوْقِ رِيتا ، وَبَدا ٱلأَمْرُ كَما لَوْ كانَ بِالبَيْتِ أُسْلوبانِ مُخْتَلِفانِ لِلْحَياةِ .

خَرَجْتُ بَعْدَ حَوالَى نِصْفِ ساعةٍ إلى ٱلحَديقةِ في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ . كانَتْ غُرْفةُ كَبيرِ ٱلخَدَمِ مُضاءةً ، وَكَذٰلِكَ ٱلمَطْبَخُ . وَكانَ هُناكَ جُزْءٌ مِنَ ٱلبَيْتِ لَيْسَ بِهِ ضَوْءٌ ، فَمَشَيْتُ إلى ٱلجُزْءِ ٱلغَرْبيِّ مِنَ ٱلمَبْنى . وَٱعْتَقَدْتُ أَوَّلَ ٱلأَمْرِ أَنَّهُ مُظْلِمٌ ، وَلٰكِنِّي رَأَيْتُ نارًا تَشْتَعِلُ في مِدْفَأةِ إحْدَى ٱلغُرَفِ ، بِدُونِ أَنْ يَكونَ بِالغُرْفةِ نورٌ مُضاءٌ . وَبَدا لي أَنَّها غُرْفةُ ٱلموسيقَى ؛ إذْ كانَ بِها بيانُو . قُلْتُ لِنَفْسي : « فَلأُحاوِلِ ٱلعَزْفَ ، فَإذا عَزَفْتُ في هُدوءٍ فَلَنْ يَسْمَعَني أَحَدٌ في ٱلمَطْبَخِ . »

فَتَحْتُ ٱلبابَ بِهُدوءٍ ، فَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتًا بِالدَّاخِلِ ، ثُمَّ جَلَسْتُ وَأَخَذْتُ أَعْزِفُ لِمُدَّةِ ساعةٍ تَقْريبًا . لَقَدْ تَمَتَّعْتُ حَقًّا بِٱلعَزْفِ في ذٰلِكَ ٱلجَوِّ ٱلمُظْلِمِ ٱلدَّافِئِ .

وَبَعْدَ ذٰلِكَ سَمِعْتُ صَوْتًا عَلى مَقْرَبةٍ مِنِّي ، إذْ لَمْ يَكُنْ مَصْدَرُهُ يَبْعُدُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثةِ أَمْتارٍ . قالَ ٱلصَّوْتُ : « هَلْ تَقومينَ دائِمًا بِٱلتَّسَلُّلِ إلى ٱلمَنازِلِ عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ لِتَعْزِفي عَلى ٱلبيانُو ؟ »

« آهٍ ! أَنا في غايةِ ٱلأَسَفِ .لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ بِوُجودِ أَحَدٍ هُنا . »

سَمِعْتُ ضَحْكةً ؛ فَٱنْدَفَعْتُ إلى ٱلبابِ ،.وَفَجْأَةً أَضاءَ نُورُ مِصْباحٍ خَلْفَ ٱلبيانو ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا يَجْلِسُ عَلى كُرْسِيٍّ وَثيرٍ في ٱلطَّرَفِ ٱلآخَرِ مِنَ ٱلحُجْرَةِ بِجِوارِ ٱلمِدْفَأةِ . كانَتْ عَلاماتُ ٱلمَرَضِ ٱلشَّديدِ بادِيَةً عَلَيْهِ ،



وَيظْهَرُ ٱلحُزْنُ وَٱلأَسى في قَسَماتِ وَجْهِهِ ، مَعَ أَنَّهُ كانَ صَغِيرَ ٱلسِّنِّ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَكْبُرُني إِلَّا بِبِضْعِ سَنَواتٍ . وَكانَ وَجْهُهُ وَسيمًا عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ شُحوبِهِ وَمَظاهِرِ ٱلإِجْهادِ ٱلبادِيَةِ عَلَيْهِ .

اِبْتَسَمَ قائِلًا : « لا تَذْهَبي ، إِنِّي أُحِبُّ ٱلْموسيقى . »

تَحَدَّثْنا عَنِ ٱلْموسيقى لِبَعْضِ ٱلوَقْتِ . ثُمَّ قُلْتُ: « أَنا في غايَةِ ٱلأَسَفِ لِأَنِّي ٱقْتَحَمْتُ عَلَيْكَ خَلْوَتَكَ . »

أَجابَ قائِلًا : « تَعالَي عِنْدَما تُرِيدِينَ . أَرْجُو أَنْ تَجْلِسي ، وَمَعْذِرةً لِأَنِّي

لا أَسْتَطيعُ ٱلقِيامَ . إِنَّهُ يَوْمٌ مِنَ ٱلأَيَّامِ ٱلسَّيِّئَةِ بِٱلنِّسْبَةِ لي . »

« هَلْ هُناكَ ما يُمْكِنُني أَنْ أَقومَ بِهِ ؟ ماذا حَدَثَ ؟ ما ٱلمَوْضوعُ ؟ »

« لَقَدْ أُطْلِقَ ٱلرَّصاصُ عَلى ساقي ، وَمَكَثْتُ أُسْبوعَيْنِ في مَكانٍ مُمْطِرٍ . وَما أُعاني مِنْهُ ٱلآنَ هُوَ نَتيجةُ ذٰلِكَ . إِنّي أَتَحَسَّنُ بِبُطْءٍ ، وَكانَ مَجيئُكِ أَشْبَهَ بِٱسْتِجابةٍ لِمَطْلَبٍ كانَ يُراوِدُني . لَقَدْ كُنْتُ هُنا أُعاني مِنَ ٱلأَلَمِ ٱلشَّديدِ ، وَدَعَوْتُ ٱللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ شَخْصٌ لِيَعْزِفَ لي . اِجْلِسي وَتَحَدَّثي مَعي . »

أَطَعْتُهُ ، وَكُنْتُ أَهُمُّ بِٱلكَلامِ عِنْدَما ٱنْفَتَحَ ٱلبابُ ٱلدَّاخِلِيُّ ، وَدَخَلَتِ ٱمْرَأَةٌ نَظَرَتْ إِلَيَّ نَظَراتِ شَكٍّ ، وَكانَ ٱلغَضَبُ يَتَمَلَّكُها . قُلْتُ لِنَفْسي : « لا بُدَّ أَنَّها السَّيِّدةُ مَنْسِين كَبيرةُ ٱلخَدَمِ . » كانَتْ تَرْتَدي مَلابِسَ سَوْداءَ ، وَكانَ شَعْرُها مَرْبوطًا مِنَ ٱلخَلْفِ .

قالَ : « أَهْلًا يا مارِي . لَمْ يَحِنِ ٱلوَقْتُ لِلنَّوْمِ بَعْدُ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قالَتْ : « لا ، لَمْ يَحِنْ يا سَيِّدي . » كانَتْ تَتَحَدَّثُ بِحَنانٍ . وَأَحْسَسْتُ أَنَّها تُحِبُّهُ كَثيرًا . وَأَضافَتْ قائِلةً : « كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَعْزِفُ عَلى ٱلبِيانو ، وَلٰكِنِّي سَمِعْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ صَوْتَ ٱلسَّيِّدةِ وَهِيَ تَتَحَدَّثُ . »

« كانَتِ ٱلسَّيِّدةُ مَنْسِين مُرَبِّيَتي مُنْذُ طُفولَتي ، وَلا تَزالُ كَذٰلِكَ ، أَ لَيْسَ هٰذا صَحيحًا يا مارِي ؟ »

لَمْ تَبْتَسِمْ وَلٰكِنَّها نَظَرَتْ إِلَيْهِ نَظَراتٍ ذاتَ مَعْنى . قالَتْ : « رُبَّما كُنْتَ لا تَعْلَمُ مَنْ هِيَ ٱلسَّيِّدةُ ٱلشَّابَّةُ يا سَيِّدي . »

لاحَظْتُ أَنَّ دَهْشَتَهُ تَحَوَّلَتْ إِلى غَضَبٍ ، وَفَقَدَ كُلَّ ما كانَ يَتَحَلّى بِهِ مِنْ صَداقةٍ وَوُدٍّ . قالَ : « طِبْتِ مَساءً . سَوْفَ تَصْحَبُكِ مارِي إِلى غُرْفَتِكِ . »

قادَتْني مارِي في صَمْتٍ ، وَعِنْدَما وَصَلْتُ إِلى بابِ غُرْفَتي قُلْتُ : « يا سَيِّدةُ مَنْسِن ، مَنْ هُوَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي كُنْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَهُ ؟ »

قالَتْ : « لا تَدَّعي أَنَّكِ لا تَعْرِفينَ رَبَّ ٱلبَيْتِ وَأَنَّ ... وَأَنَّ زَوْجَتَهُ لَمْ تُخْبِرْكِ بِالمَكانِ ٱلَّذي يُمْكِنُكِ أَنْ تَجديهِ فيهِ . أَنْتِ ذَكِيَّةٌ يا آنِسةُ ، وَلٰكِنَّكِ تَقُومِينَ بِما لا تَقومُ بِهِ فَتاةٌ مُحْتَرَمةٌ . يَجِبُ أَنْ تَخْجَلي . طِبْتِ مَساءً . »

عِنْدَما رَقَدْتُ في فِراشي أَخَذْتُ أُفَكِّرُ : زَوْجُ ريتا ! كَيْفَ سَوَّلَتْ لَها نَفْسُها ٱلذَّهابَ إِلى أَيِّ حَفْلٍ تارِكةً ٱلرَّجُلَ مَريضًا وَوَحيدًا في عِنايةِ ٱلخَدَمِ ؟

جاءَتْ خادِمةٌ عَجوزٌ ٱسْمُها لِيلِي بِطَعامِ ٱلإِفْطارِ وَقالَتْ : « إِنَّ ٱلسَّيِّدةَ فِير تَأْمُلُ في أَنْ تَنْزِلي لِتُقابِلي ٱلطَّبيبَ ٱلدُّكْتور كْرُوِيبنَر ٱلَّذي سَوْفَ يَكونُ هُنا في ٱلسَّاعةِ ٱلعاشِرةِ . »

« هَلْ تَعْرِفينَ لِماذا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُقابِلَهُ ؟ »

« لا يا آنِســـةُ . »

نَزَلْتُ وَٱنْتَظَرْتُ في ٱلحَديقةِ ، وَكُنْتُ أَرْقُبُ ٱلطَّريقَ ٱلمُؤَدِّيَ إلى ٱلبَيْتِ . وَعِنْدَما جاءَتْ سَيّارةُ ٱلطَّبيبِ كُنْتُ مُسْتَعِدَّةً لِلِقائِهِ .

كانَتْ سَيّارَتُهُ كَبيرةً لِلْغايةِ وَفاخِرةً جِدًّا ، وَبِها ٱلكَثيرُ مِنَ ٱلزَّخارِفِ ٱلنُّحاسِيَّةِ . وَكانَ عَلَيَّ أَنْ أَتَوَقَّعَ أَيَّ صِنْفٍ مِنَ ٱلرِّجالِ يَقْتَني مِثْلَ تِلْكَ ٱلسَّيّارةِ .

دَخَلْتُ ٱلقاعةَ فَٱنْفَتَحَ بابٌ خَرَجَ مِنْهُ هَنْري فُويْس . لَقَدْ أَدْهَشَني أَنْ أَراهُ بِالبَيْتِ في مِثْلِ هٰذِهِ ٱلسّاعةِ ٱلمُبَكِّرةِ .

« إنَّني أَقومُ دائِمًا بِزيارةٍ مُبَكِّرةٍ لِأُولٰئِكَ ٱلَّذينَ يَحْضُرونَ حَفَلاتي . رُبَّما تَحْضُرينَ في ٱلمَرَّةِ ٱلمُقْبِلةِ كَذٰلِكَ . »

قُلْتُ : « سَيَكونُ هٰذا أَمْرًا سارًّا لي . » ثُمَّ تَحَرَّكْتُ مِنْ مَكاني بِسُرْعةٍ مِمّا جَعَلَهُ يُقَبِّلُ ٱلهَواءَ قُرْبَ أُذُني ، فَتَراجَعَ .

اِعْتَقَدْتُ أَنَّهُ قَدْ تَضايَقَ ، وَلٰكِنِّي فُوجِئْتُ عِنْدَما لاحَظْتُ أَنَّهُ كانَ مُنْدَهِشًا بَلْ خائِفًا . فَما ٱلَّذي أَخافَهُ مِنّي ؟

ظَهَرَ رُودْكِين في تِلْكَ ٱللَّحْظةِ وَأَخَذْتُ أُسائِلُ نَفْسي تُرى هَلْ لاحَظَ ما دارَ بَيْني وَبَيْنَ فُويْس ؟

قالَ : « هَلْ لَكِ أَنْ تَنتَظِري ٱلطَّبيبَ هُنا بِالدَّاخِلِ يا آنِسةُ ؟ » وَأَدْخَلَني غُرْفَةَ ٱلجُلوسِ ٱلصَّغيرةَ ٱلَّتي رَأَيْتُها في ٱللَّيْلَةِ ٱلسَّابِقَةِ .

قُلْتُ : « إِنَّها غُرْفَةٌ جَميلَةٌ لِلْغايَةِ . »

قالَ : « نَعَمْ يا آنِسةُ . إِنَّ والِدَةَ ٱلسَّيِّدِ فِير كانَتْ تُحِبُّ هٰذِهِ ٱلغُرْفَةَ . لَقَدْ كانَتْ سَيِّدَةً رائِعةً ، تَخْتَلِفُ كَثيرًا عَنْ ... » وَتَوَقَّفَ فَجْأَةً ثُمَّ قالَ : « سَوْفَ يَكونُ ٱلطَّبيبُ مَعَكِ في ٱلحالِ . »

دَخَلَ ٱلطَّبيبُ وَأَشارَ إِلَيَّ بِإِصْبَعَيْنِ . لَقَدْ كانَ سِنُّهُ يَزيدُ عَلى ٱلثَّمانينَ ، وَكانَ أَشْبَهَ بِالطَّبيبِ ٱلَّذي يَظْهَرُ عَلى ٱلمَسْرَحِ في ٱلمَسْرَحِيَّاتِ . وَقادَني إِلى ٱلشُّبَّاكِ ، وَوَضَعَ نَظَّارَتَهُ ثُمَّ قالَ : « دَعيني أَنْظُرُ إِلَيْكِ . » ثُمَّ أَشارَ إِلى كُرْسِيٍّ وَدَعاني لِلْجُلوسِ وَقالَ : « إِنَّ ٱلسَّيِّدَةَ فِير تُريدُ مِنِّي أَنْ أُوَجِّهَ إِلَيْكِ بَعْضَ ٱلأَسْئِلَةِ . هَلْ تَعْرِفينَ لِماذا عُيِّنْتِ لِهٰذا ٱلعَمَلِ ؟ »

« لا ! لا أَعْرِفُ ! لَقَدْ قالَتْ لي رِيتا إِنَّها تُريدُ مِنِّي أَنْ أَكونَ أُخْتَها ٱلصَّغيرةَ . »

« آهٍ ، نَعَمْ ! هٰذِهِ هِيَ كَلِماتي بِالضَّبْطِ.لَقَدْ قيلَ لي إِنَّهُ لَيْسَ لَدَيْكِ خِبرةٌ بِالتَّمْريضِ . إِنَّ هٰذا لا يَهُمُّ . نَحْنُ نُريدُ مِنْكِ أَنْ تَكوني مُلازِمةً لِرَجُلٍ مَريضٍ . إِنَّ ٱلشَّخْصَ إِذا جُرِحَ وَأُصيبَ بِمَرَضٍ خَطيرٍ بَعْدَ ٱلحَرْبِ ، فَإِنَّهُ

قَدْ يُصْبِحُ في حالةٍ غَيْرِ طَبيعِيَّةٍ في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ : فَقَدْ تُساوِرُهُ بَعْضُ ٱلأَفْكارِ ٱلغَريبةِ ، أَوْ يُبدي كَراهيةً لأُولٰئكَ ٱلَّذينَ يُحِبُّهُمْ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلِ زَوْجَتِهِ . »

« أَنْتَ تَتَحَدَّثُ عَنِ ٱلسَّيِّدِ جُولْيان فِير ؟ »

« نَعَمْ ، إِنَّ مَرَضَهُ ٱلجَسَدِيَّ يَتَحَسَّنُ ، وَلٰكِنَّهُ لا يَزالُ يَشُكُّ شَكًّا لا أَساسَ لَهُ في زَوْجَتِهِ ٱلشّابَّةِ وَفي كافَّةِ ٱلنِّساءِ . وَواجِبُكِ هُوَ أَنْ تُعالِجي هذا . عَلَيْكِ أَنْ تُرافِقيهِ وَتُحَدِّثيهِ وَتُصغي إِلَيْهِ . بِطَبيعةِ ٱلحالِ عَلَيْكِ أَنْ تَكُوني في مُنْتَهى ٱلإِخْلاصِ لِزَوْجَتِهِ . وَعَلَيْكِ في بِدايةِ ٱلأَمْرِ أَنْ تَصْنَعي قَهْوةَ ٱلمَساءِ لِلسَّـيِّدِ فِير . وَأَنْ تَضَعي هٰذِهِ ٱلأَقْراصَ في ٱلقَهْوةِ كَيْ تُساعِديهِ عَلى ٱلنَّوْمِ . »

وَٱسْتَمَرَّ في حَديثِهِ مُكَرِّرًا ما سَبَقَ أَنْ قالَهُ ، مِمَّا جَعَلَني أَظُنُّ أَنَّهُ أَبْلَهُ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ مُعْجَبًا بِريتا وَراغِبًا في مُساعَدةِ جُولْيان فِير .

لَمْ يُسْمَحْ لي بِرُؤْيةِ ٱلسَّـيِّدِ فِير عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ تِلْكَ ٱلتَّعْليماتِ ٱلَّتي أُعْطِيْتُ ؛ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلسَّيِّدةَ مَنْسِن كانَتْ تَحولُ بَيْني وَبَيْنَ رُؤْيَتِهِ ، وَكُلَّما طَلَبْتُ أَنْ أُقابِلَهُ كانَتْ تَقولُ : « إِنَّ السَّيِّدَ فِير يَقْرَأُ » أَوْ « ٱلسَّيِّدُ فِير نائِمٌ » أَوْ « السَّيِّدُ فِير لا يُريدُ أَنْ يَرى أَحَدًا ؛ إِنَّهُ يَسْتَريحُ . »
تَحَدَّثْتُ إِلى رِيتا عَنْ هذا ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَكُنْ في ٱلحَقيقةِ مُصْغِيةً لي .

وَكانَ واضِحًا أَنَّها لَمْ تَكُنْ راغِبَةً في ٱلحَديثِ عَنْ زَوْجِها .

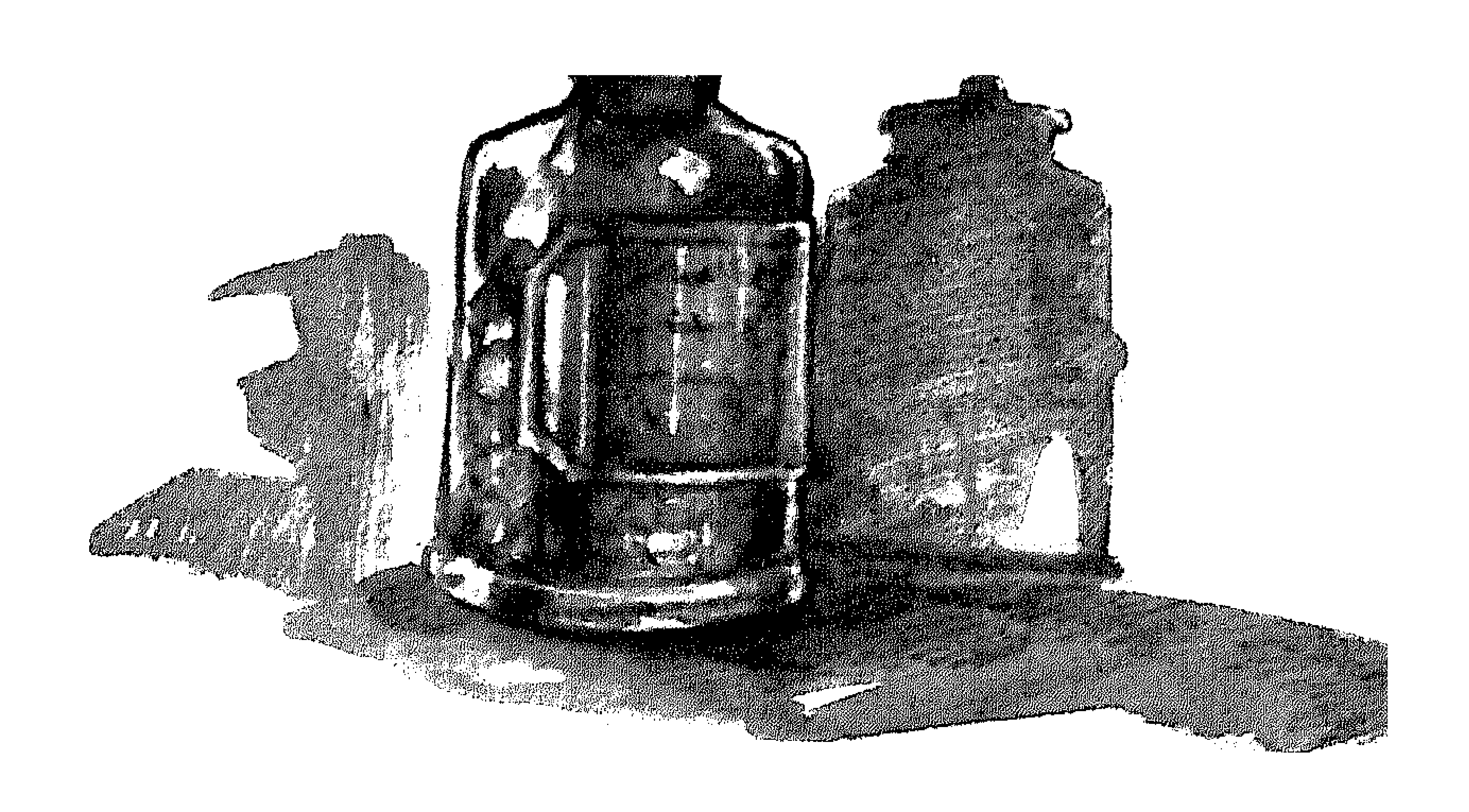
تَناوَلْتُ طَعامَ ٱلعَشاءِ وَحْدي ، وَأَخَذْتُ أُسائِلُ نَفْسي هَلْ يَجِبُ أَنْ أَتَشاجَرَ مَعَ ٱلسَّيِّدَةِ مَنْسِن لِتُمَكِّنَني مِنْ أَداءِ عَمَلِيَ ٱلوَحيدِ في ٱليَوْمِ ؟ وَأَعْني بِهِ قَهْوَةَ ٱلسَّيِّدِ فِير وَحُبوبَهُ ٱلمُنَوِّمَةَ . وَفي تِلْكَ ٱلأَثْناءِ دَخَلَتِ ٱلغُرْفَةَ وَمَعَها رُودْكِين . لَقَدْ كانَ بَيْنَهُما شَبَهٌ كَبيرٌ فَسَأَلْتُها : « هَلْ أَنْتُما شَقِيقانِ ؟ »

« نَعَمْ يا آنِسَةُ ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنّي قَليلًا . لَقَدْ عِشْنا في هٰذا ٱلبَيْتِ سِتِّينَ سَنَةً . » وَبَدَأَتْ لَهْجَتُها تَأْخُذُ طابَعًا وُدِّيًا ، وَكُنْتُ أُريدُها أَنْ تُحَدِّثَني عَنْ والِدَةِ ٱلسَّيِّدِ فِير ، فَقُلْتُ لَها : « لا بُدَّ أَنَّكِ شاهَدْتِ ٱلكَثيرَ مِنَ ٱلتَّغْييرِ . »

رَجَعَتْ لَهْجَتُها جافَّةً وَقالَتْ : « لَقَدْ جِئْتُ لِأُرِيَكِ ٱلغُرْفَةَ ٱلَّتي عَلَيْكِ أَنْ تُعِدّي فيها قَهْوَةَ رَبِّ ٱلبَيْتِ . » وَأَخْرَجَتْ مِفْتاحًا وَقالَتْ : « لَقَدْ أَصْدَرَتِ ٱلسَّيِّدَةُ فِير أَمْرًا بِأَنْ يَكونَ مِفْتاحُ ٱلغُرْفَةِ مَعَكِ ، حَتّى لا يَتَمَكَّنَ أَيُّ شَخْصٍ آخَرَ مِنْ فَتْحِ ٱلبابِ . أَرْجُو أَنْ تَتْبَعيني . »

كانَتْ مَعي أُنبوبَةُ ٱلأَقْراصِ ٱلَّتي أَعْطانيها ٱلطَّبيبُ . فَأَرَيْتُها إِيّاها . وَكانَ مَكْتوبًا عَلَيْها « ٱلسَّيِّدُ جُولْيان فِير . تُؤْخَذُ أَرْبَعُ حَبّاتٍ في شَرابٍ ساخِنٍ قَبْلَ ٱلنَّوْمِ بِساعَةٍ . »

وَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِها قائِلَةً : « رُبَّما قُمْتِ بِذٰلِكَ ٱللَّيْلَةَ ، وَسَوْفَ أَكونُ مَعَكِ . »



وَكانَتْ تَأْتي مَعي دائِمًا إلى ٱلغُرْفةِ وَتَقِفُ وَرائي أَثْناءَ قِيامي بِإعْدادِ ٱلقَهْوةِ وَوَضْعِ ٱلحَبَّاتِ ٱلأَرْبَعِ فيها . وَكُنْتُ آخُذُ ٱلصِّينيَّةَ ٱلصَّفْراءَ ٱلصَّغيرةَ وَعَلَيْها فِنْجانُ ٱلقَهْوةِ وَنَذْهَبُ مَعًا إلى غُرْفةِ ٱلسَّيِّدِ فِير .

كانَتْ تَطْرُقُ ٱلبابَ وَتَقِفُ في ٱلخارِجِ إلى أَنْ يَشْكُرَني جولْيان فِير وَأَخْرُجَ مِنْ غُرْفَتِهِ .

كانَ في ذٰلِكَ مَضْيَعةٌ لِلْوَقْتِ ، وَلِهٰذا سَأَلْتُ ٱلسَّيِّدةَ مَنْسِن في مَساءِ ٱليَوْمِ ٱلخامِسِ : « لِماذا أَنا هُنا في تَصَوُّرِكِ ؟ »

« أَعْتَقِدُ أَنَّكِ تَعْرِفينَ ذٰلِكَ أَكْثَرَ مِنّي . »

أَغْضَبَني هٰذا ٱلرَّدُّ ، وَأَخْبَرْتُها قِصَّتي كامِلةً ، ثُمَّ قُلْتُ : « وَهٰكَذا تَرَيْنَ

أَنَّهُ قَدْ جِيءَ بي إلى ٱلبَيْتِ كَشَخْصٍ يُمْكِنُ أَنْ يُوثَقَ بِهِ . لِماذا تُعامِلِينَني كَما لَوْ كُنْتُ شَخْصًا .... كَما لَوْ كُنْتُ شَخْصًا لا يُوثَقُ بِهِ ؟ »

لاحَظْتُ أَنَّها دَهِشَتْ لِذٰلِكَ . وَبَدا عَلَيْها أَنَّها لَمْ تَعُدْ تُناصِبُني ٱلعَداءَ ، وَلٰكِنْ كانَ لا يَزالُ عِنْدَها بَعْضُ ٱلشَّكِّ .

« أَ هٰذا كُلُّ ما قِيلَ لَكِ ؟ »

« هٰذا كُلُّ شَيْءٍ ؛ لِذا فَلَسْتُ مَصْدَرَ خَطَرٍ خَفِيٍّ . »

« لَقَدْ قالَ لي رُودْكِين أَمْسِ فَقَطْ إِنَّهُ لا يَظُنُّ أَنَّكِ تَعْرِفِينَ ما تَقُومِينَ بِهِ . »

قُمْتُ في تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ بِأَداءِ عَمَلي كَٱلمُعْتادِ . وَلٰكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّها تَحَدَّثَتْ إلى ٱلسَّيِّدِ فِير لِأَنَّهُ بَعَثَ في طَلَبي ، وَقُمْتُ بِٱلعَزْفِ على ٱلبِيانو لَهُ لِمُدَّةِ ساعةٍ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ تناوَلْنا ٱلشَّايَ مَعًا .

كانَتْ تِلْكَ هِيَ ٱلبِدايةَ . وَكُنْتُ أُصْغي إِلَيْهِ حينَ يُرِيدُ ٱلحَديثَ ، وَإذا أَرادَ كِتابًا كُنْتُ أَقومُ بِقِراءتِهِ حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنْ مُناقَشَتِهِ مَعَهُ . وَحاوَلْتُ أَنْ أَجِدَ ما يُسَلِّيهِ . وَكانَ دائِمًا مُهَذَّبًا لٰكِنْ دُونَ مَوَدَّةٍ . وَبَعْدَ حَوالى أُسْبوعَيْنِ قالَ : « لَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا طاعِنًا في ٱلسِّنِّ ٱسْمُهُ كَٱسْمِكِ . لَقَدْ جاءَ إلى ٱلمَحَطَّةِ مَعَ أَبي لِيُوَدِّعَني وَأَنا ذاهِبٌ إلى ٱلمَدْرَسةِ وَأَعْطاني جُنَيْهًا . وَكانَ ٱسْمُهُ غْرَاي برايْتُون . »

قُلْتُ : « إِنَّهُ عَمِّي غْرَاي . كَمْ كُنْتُ أُحِبُّهُ ! لَقَدْ كانَ ٱلوَحيدَ ٱلَّذي تَبَقَّى مِنْ عائِلَتي . »

قالَ : « أَ لَيْسَ لَكِ أَقْرِباءُ آخَرونَ ؟ لا أَحَدَ ؟ » ثُمَّ سَأَلَ سُؤالًا غَريبًا : « إِذًا فَأَنْتِ وَحيدةٌ . هَلْ هٰذا سَبَبُ ٱخْتِيارِ زَوْجَتي لَكِ ؟ »

« أَعْتَقِدُ أَنَّها ٱخْتارَتْني عَطْفًا عَلَيَّ . لَقَدْ كانَتْ تَعْرِفُني في ٱلمَدْرَسةِ . » نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرةً غَريبةً ، وَكَأَنَّما خَطَرَ لَهُ خاطِرٌ جَديدٌ غَيْرُ سارٍّ

تَحَدَّثْنا مَعًا مَرَّاتٍ عَديدةً بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَٱزْدادَتِ ٱلأُلْفةُ بَيْنَنا تَدْريجِيًّا . شَعَرْتُ بِسَعادةٍ لَمْ أَشْعُرْ بِها مِنْ قَبْلُ ، وَبَدَأَتْ صِحَّتُهُ تَتَحَسَّنُ . »

أَمَّا بِالنِّسْبةِ لِريتا فَلَمْ أَكُنْ أَراها إِلَّا نادِرًا . وَكانَ هَنْري فُويْبُس يَسْكُنُ بَيْتًا قَريبًا وَيَأْتي إِلَيْنا كَثيرًا . وَيَبْدو أَنَّهُ كانَ يَخْشاني بَعْضَ ٱلشَّيْءِ . وَٱلغَريبُ في ٱلأَمْرِ أَنَّ جُولْيان ، ٱلسَّيِّدَ فِير ، لَمْ يَكُنْ فيما يَبْدو يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا .

وَذاتَ مَساءٍ بَدَأَ جُولْيان يَتَحَدَّثُ عَنْ والِدَتِهِ : كانَ ٱلبَيْتُ مِلْكَها ، وَظَلَّ كَما تَرَكَتْهُ بِٱسْتِثْناءِ ٱلإِسْتُدْيو . وَبَدا أَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّهُ كُلَّ ٱلحُبِّ . قالَ : « لَقَدْ ماتَتْ قَبْلَ سَنةٍ مِنْ ذَهابي إِلى ٱلحَرْبِ ، وَكانَتْ تُعاني مِنْ آلامٍ مُبَرِّحةٍ . »

« إِذًا فَقَدْ كانَتْ تَعْرِفُ رِيتا ؟ »

أجابَ وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ ٱلغَضَبُ ٱلشَّديدُ : « لا ! لا ! لَقَدْ قابَلْتُ زَوْجَتي قَبْلَ شَهْرَيْنِ مِنْ إبْحاري . »

سَأَلْتُهُ عَنِ ٱلسَّيِّدةِ مَنْسِن فَقُلْتُ : « إنَّها سَيِّدةٌ رائِعةٌ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

« بَلى . إنَّها هُنا مُنْذُ خَمْسينَ سَنةٍ تَقْريبًا ، وَكانَتْ مُرَبِّيَتي عِنْدَما كُنْتُ طِفْلًا . هَلْ سَمِعْتِها تُغَنّي ؟ لَقَدْ كانَتْ تُغَنّي لي في طُفُولَتي ، وَكانَتْ أغانيها شَجِيَّةً . سَوْفَ أَطْلُبُ مِنْها أَنْ تَأْتِيَ إِلى هُنا وَتُغَنّي مَرَّةً أُخْرى . »

وَقَدْ حَدَثَ هٰذا ، وَكانَتِ ٱلسَّيِّدةُ مَنْسِن في غايةِ ٱلمَرَحِ ؛ إذْ أَخَذَتْ تَضْحَكُ كَما لَوْ كانَتْ فَتاةً صَغيرةً ، وَكانَ جُولْيان يَمْرَحُ مَعَها . وَأَخَذْنا نَضْحَكُ جَميعًا حَتّى دَمَعَتْ عُيونُنا . وَبَدا لي جُولْيان في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ شابًّا يافِعًا أَمامَهُ مُسْتَقْبَلٌ عَريضٌ ، لا جُنْدِيًّا مُحَطَّمًا . وَهٰكَذا ذَهَبْتُ إلى فِراشي وَٱلسُّرورُ يَمْلَأُ جَوارِحي .

مَرَّ عَلى وُجودي هُناكَ ثَمانِيَةُ أَسابيعَ . وَتَحَسَّنَتْ حالةُ جُولْيان ، وبَدَأَ وَزْنُهُ يَزْدادُ ، وَٱمْتَلَأَ حَيَوِيَّةً وَٱهْتِمامًا بِٱلحَياةِ .

وَذاتَ يَوْمٍ كانَ مَعَهُ ٱلسَّيِّدُ تْشِرْشْمان مُحاميهِ ، وَكانا في ٱلمَكْتَبةِ . وَكُنْتُ أَنا في غُرْفةِ ٱلمُوسيقى أَنْتَظِرُ كَيْ أُقَدِّمَ ٱلشّايَ لَهُما . ثُمَّ جاءَ جُولْيان وَوَقَفَ بِالبابِ يَنْظُرُ إلَيَّ بِطَريقةٍ جَديدةٍ غَريبةٍ ، طَريقةٍ كُنْتُ أَتَمَنّاها ، وَإنْ كُنْتُ أَخْشى أَنْ أَراها .

قالَ : « لَقَدْ ذَهَبَ تْشِرْشْمان . » ثُمَّ دَخَلَ وَجَلَسَ .

نَظَرَ إِلَيَّ في ثَباتٍ ، وَكانَتْ نَظَراتُهُ جادَّةً ، ثُمَّ قالَ : « جِيلي ، يُؤْسِفُني أَنْ أَقولَ لَكِ إِنَّ عَلَيْكِ أَنْ تَتْرُكي هٰذا ٱلْمَكانَ يا عَزيزَتي . »

حَزِنْتُ حُزْنًا شَديدًا ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ كُنْتُ في غايَةِ ٱلسُّرورِ عِنْدَما أَدْرَكْتُ ما أَفْصَحَتْ عَنْهُ عَيْناهُ .



قُلْتُ : « لا تَزِدْ . أنا أَعْرِفُ . دَعْني فَقَطْ أَذْهَبُ إلى رِيتا وَأُخْبِرُها أنَّني سَأُغادِرُ آلمَكانَ . »

كانَتْ رِيتا في غُرْفَتِها وَمَعَها خادِمَتُها مِيتْزِي . قُلْتُ لَها إنِّي آعْتَزَمْتُ آلذَّهابَ ، فَقالَتْ : « يا عَزيزَتي جِيلي ، تَعالَيْ وَحادِثِيني غَدًا . لَعَلَّكِ تَجِدينَ آلحَياةَ هُنا كَئِيبةً ، وَلٰكِنْ سَوْفَ نُغَيِّرُ هٰذا كُلَّهُ . بِالطَّبْعِ لَنْ تَذْهَبي . »

« لا يا رِيتا ، أَنا أَعْني ما أَقولُ . شُكْرًا وَإلى آللِّقاءِ . »

تَلاشَى كُلُّ ما كانَ لَدَيْها مِنْ مَوَدَّةٍ ، وَأَمَرَتْ مِيتْزِي بِالخُروجِ مِنَ آلغُرْفةِ ، ثُمَّ قالَتْ : « أَيَّتُها آلغَبِيَّةُ آلصَّغيرةُ ، ماذا حَدَثَ ؟ » وَقَفَتْ وَكانَتْ كَأَنَّها آلشَّيْطانُ ، وَصاحَتْ بي ثُمَّ لَطَمَتْني .

أَحْسَسْتُ بِوُجودِ شَيْءٍ جَديدٍ وَراءَ غَضَبِها هٰذا ، وَأَنَّ ثَمَّةَ خَطَرًا شَديدًا .

« لا بُدَّ أَنْ تَبْقَيْ ! »

« لا يا رِيتا . »

« اِبْقَيْ ! »

« لا ! لا يا رِيتا ! سَوْفَ أَذْهَبُ . »

تَوَقَّفَتْ ثُمَّ قالَتْ : « حَسَنًا ! إذْهَبي وَأَعِدّي حَقائِبَكِ . يُمْكِنُكِ أَنْ تُغادِري في ٱلصَّباحِ ، وَحَتّى يَأْتِيَ ٱلغَدُ فَسَوْفَ تَقومينَ بِعَمَلِكِ كَٱلمُعْتادِ . »

« حَسَـــنًا . »

« لَنْ أَخْرُجَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ ؛ لَقَدْ أَفْسَدْتِ عَلَيَّ لَيْلَتي . عِنْدَما تُعِدّينَ قَهْوَةَ جُولْيان ٱللَّيْلَةَ أَحْضِري لي فِنْجانًا مِنْها . »

بَدا عَلى ٱلسَّيِّدَةِ مَنْسِين أَنَّها فَهِمَتْ ما حَدَثَ ، فَقَدْ أَحْضَرَتْ لي عَشائي إلى غُرْفَتي .

نَزَلْتُ في ٱلسّاعَةِ ٱلتّاسِعَةِ مَساءً إلى ٱلغُرْفَةِ لِأُعِدَّ ٱلقَهْوَةَ . وَكُنْتُ أَبْكي بِعُنْفٍ حَتّى إنَّني تَمَكَّنْتُ بِصُعوبَةٍ مِنْ وَضْعِ ٱلمِفْتاحِ في ثَقْبِهِ . وَبَعْدَ أَنْ فَتَحْتُ ٱلبابَ وَجَدْتُ مِصْباحَ ٱلغُرْفَةِ لا يُنيرُ . وَلٰكِنْ كانَ في وُسْعِي عِنْدَ تَرْكِيَ ٱلبابَ مَفْتوحًا أَنْ أَحْصُلَ عَلى ضَوْءٍ كافٍ مِنَ ٱلخارِجِ يُمَكِّنُني مِنْ رُؤْيَةِ ما أَقومُ بِهِ .

أَعْدَدْتُ صِينِيَّتَيْنِ : صِينِيَّةَ جُولْيان ٱلصَّفْراءَ ، وَأُخْرى شَبيهَةً بِها وَلٰكِنْ ذاتَ لَوْنٍ وَرْدِيٍّ . وَمَلَأْتُ فِنْجانَيْنِ بِالقَهْوَةِ ، وَأَوْشَكْتُ أَنْ أُعِدَّ حُبوبَ

جُولْيان لِأَضَعَها في فِنْجانِهِ إلَّا أَنَّني سَمِعْتُ وَقْعَ خُطُواتٍ خَلْفي ، وَدَخَلَ رُودْكِين .

سَأَلَ : « أَلا يُوجَدُ ضَوْءٌ يا آنِسةُ ؟ دَعيني أَرَهُ . » وَوَقَفَ عَلى كُرْسِيٍّ وَلَمَسَ ٱلمِصْباحَ فَعادَ ٱلضَّوْءُ عَلى ٱلفَوْرِ ، فَقالَ : « كانَ ٱلمِصْباحُ مائِلًا قَليلًا . لَقَدْ جِئْتُ لِأَسْأَلَكِ هَلْ تُريدينَ مِنِّي أَنْ آخُذَ لِلسَّــيِّدةِ فِير قَهْوَتَها ؟ »

قُلْتُ : « لا أَدْرِي إذا كانَتْ هِيَ تُرِيدُ ذٰلِكَ . »

« دَعي ٱلأَمْرَ لي . »

قُلْتُ : « إنَّها ٱلصِّينيَّةُ ٱلوَرْديَّةُ . » أَخَذَ ٱلصِّينيَّةَ وَسَمِعْتُ صَوْتَ ٱلفِنْجانِ في ٱلصِّينيَّةِ وَهُوَ يَحْمِلُها وَيَخْرُجُ . وَأَخَذْتُ أَنا ٱلصِّينيَّةَ ٱلأُخْرى وَذَهَبْتُ بِها إلى غُرْفةِ جُولْيان .

كانَتِ ٱلأَضْواءُ خافِتةً في غُرْفَتِهِ ، وَكانَ جالِسًا بِجِوارِ ٱلمِدْفَأَةِ وَمَعَهُ كَلْبُهُ .

« مــــارِي ؟ »

« لا ، هٰذِهِ أَنا يا جُولْيان . »

قامَ وَأَخَذَ ٱلصِّينيَّةَ مِنْ يَدَيَّ ، وَقالَ : « لَقَدْ سَمِعْتُ ما حَدَثَ ، أَرْجوكِ

أَنْ تَصْفَحي عَنْها . أَنا في غايةِ ٱلأَسَفِ على ٱلأُسْلوبِ ٱلَّذي تَصَرَّفْتُ بِهِ . »

أَحْسَسْتُ مِنْ طَريقةِ كَلامِهِ عَنْها مَدى بُغْضِهِ لَها .

قُلْتُ : « سَوْفَ أَذْهَبُ في ٱلصَّباحِ ٱلباكِرِ . وَداعًا . »

« تَصْحَبُكِ ٱلسَّلامةُ يا جيلي . » وَصَحِبَني إلى ٱلباب ، وَفَتَحَهُ لي . وَعِنْدَ خُروجي أَعْطاني شَيْئًا قائِلًا : « يَجِبُ أَنْ تَأْخُذي هٰذا . هٰذا شَيْءٌ يَجْعَلُني مُطْمَئِنًّا إلى أَنَّكِ بِخَيْرٍ إلى أَنْ ... لا داعِيَ لِأَنْ أَقولَ شَيْئًا ٱلآنَ ... أَرْجوكِ خُذيهِ يا أَعَزَّ ٱلنَّاسِ . »

وَعِنْدَما عُدْتُ إلى غُرْفَتي وَجَدْتُ أَنَّهُ أَعْطاني شيكا بِمَبْلَغِ مِئَتَي جُنَيْهٍ ، وَخِطابًا إلى ٱلمَصْرِفِ يَطْلُبُ فيهِ أَنْ يُفْتَحَ لي حِسابٌ .

ذَهَبْتُ إلى فِراشي وَحاوَلْتُ أَنْ أَنامَ .

أَيْقَظَتْني في ٱلسَّاعةِ ٱلسَّابِعةِ صَباحًا صَيْحاتٌ عالِيةٌ . كانَتْ صَيْحاتِ مِيتْزِي ، وَقَدِ ٱسْتَيْقَظَ كُلُّ مَنْ في ٱلبَيْتِ عِنْدَ سَماعِها ، فَٱرْتَدَيْتُ مِعْطَفي وَأَسْرَعْتُ إلى قِمَّةِ ٱلدَّرَجِ . وَرَأَيْتُ رُودْكِين خارِجًا مِنَ ٱلِاسْتُدْيُو وَهُوَ يُعينُ مِيتْزِي عَلى ٱلسَّيْرِ ، وَعِنْدَما رَآني قالَ : « اِذْهَبي إلى غُرْفَتِكِ عَلى ٱلفَوْرِ يا آنِسةُ . لا تَنْزِلي ، فَلَنْ يَروقَكِ ٱلمَنْظَرُ . »

تَحَرَّكَ كُلُّ مَنْ في ٱلبَيْتِ في تِلْكَ ٱللَّحْظةِ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ ٱلأَصْواتَ

وَٱلتَّساؤلاتِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ؛ وَلَمْ أُدْرِكْ آنَذاكَ أَنَّ ٱسْمي كانَ يَدورُ عَلى لِسانِ كُلِّ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ حُجْرةِ ٱلمَوْتِ تِلْكَ . وَلَمْ أَعْرِفْ أَنَّ مِيتْزِي لَمْ تَجِدْ رِيتا في غُرْفةِ نَوْمِها ، فَنَزَلَتْ لِتَبْحَثَ عَنْها في ٱلِاسْتُودْيُو ، فَوَجَدَتْها



مُلْقاةً هُناكَ وَقَدْ فارَقَتِ ٱلحَياةَ ، وَكانَ فِنْجانُ ٱلقَهْوةِ بِجِوارِها عَلى ٱلصِّينيَّةِ ٱلوَرْدِيَّةِ ٱللَّوْنِ . وَكانَ ٱلفِنْجانُ فارِغًا .

كُنْتُ واقِفةً عِنْدَ بابِ غُرْفةِ نَوْمي عِنْدَما جاءَ جُولْيان نَحْوي ، وَأَمْسَكَني مِنْ كَتِفي ثُمَّ دَفَعَني إلى داخِلِ ٱلغُرْفةِ . وقالَ : « جِيلي ! جِيلي ! ماذا فَعَلْتِ ؟ ماذا وَضَعْتِ في ذٰلِكَ ٱلفِنْجانِ ؟ »

وَعِنْدَئِذٍ فَهِمْتُ : لَقَدْ ماتَتْ رِيتا مَسْمومةً ، وَأَنا ٱلَّتي أَرْسَلْتُ إلَيْها فِنْجانَ ٱلقَهْوةِ ذاكَ في ٱللَّيْلةِ ٱلماضِيةِ .

قُلْتُ بِهُدوءٍ : « لَمْ أَضَعْ إلّا ٱلقَهْوةَ في ٱلفِنْجانِ . إنَّ ذٰلِكَ لا يَقْتُلُها . لَقَدْ أَخَذْتَ أَنْتَ بَعْضَ تِلْكَ ٱلقَهْوةِ . »

« فَلْيُبارِكْكِ ٱللّٰهُ يا جِيلي . سامِحيني . كانَ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَ ، وَأَلّا تُساوِرَني تِلْكَ ٱلفِكْرةُ وَلَوْ لِلَحْظةٍ . »

ثُمَّ أَمْسَكَ بِيَدي ، وَٱنْفَتَحَ ٱلبابُ خَلْفَنا ، وَوَقَفَتِ ٱلسَّيِّدةُ مَنْسِن هُناكَ تَنْظُرُ إلَيْنا . فَتَرَكَ جُولْيان يَدي بِبُطْءٍ وَٱسْتَدَرْنا نَحْوَها .

لَمْ تَكُنِ ٱلسَّيِّدةُ مَنْسِن غاضِبةً ، بَلْ خائِفةً . قالَتْ : « بِاللّٰهِ عَلَيْكَ يا وَلَدي ، اُخْرُجْ مِنْ هٰذِهِ ٱلغُرْفةِ . يَجِبُ أَلّا يُشاهِدَكَ أَحَدٌ مَعَها ٱلآنَ . »

ثُمَّ أَغْلَقَتِ ٱلبابَ وَٱتَّكَأَتْ عَلَيْهِ بِظَهْرِها قائِلَةً : « اُصْمُتي وَسَوْفَ

أُساعِدُكِ قَدْرَ إمْكاني ، وَلٰكِنْ لا تَزُجِّي بِهِ في ٱلمَوْضوعِ . أَنْقِذيهِ وَسَوْفَ أُساعِدُكِ . »

« وَلٰكِنِّي لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا يا سَيِّدةُ مَنْسِنَ . لَمْ يَكُنْ بِذٰلِكَ ٱلفِنْجانِ شَيْءٌ إلَّا ٱلقَهْوَةُ . هَلْ أَبْدو قاتِلَةً ؟ »

قالَتْ : « سَيَقولونَ إنَّ لَدَيْكِ ما يَدْفَعُكِ لِذٰلِكَ . لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُها أَيْضًا ، وَلٰكِنِّي لَسْتُ صَغيرةً وَلَسْتُ واقِعةً في ٱلغَرامِ . اُصْمُتي وَأَخْرِجيهِ مِنَ ٱلمَوْضوعِ وَسَوْفَ أُساعِدُكِ . »

تَوَقَّعْتُ أَنْ تَأْتِيَ ٱلشُّرْطةُ وَتَأْخُذَني إلى ٱلسِّجْنِ ، وَلٰكِنْ كانَ أَوَّلُ مَنْ زارَني هُوَ الدُّكْتورَ كرُوبِينَر . وَكانَ يَبْدو طاعِنًا في ٱلسِّنِّ ، غَيْرَ ثابِتِ ٱلحَرَكةِ ، فَأَحْضَرْتُ لَهُ كُرْسِيًّا لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ .

قالَ : « شَيْءٌ فَظيعٌ ! لَقَدْ أَخْبَروكِ بِدُونِ شَكٍّ . »

« نَعَمْ ! ما سَبَبُ ذٰلِكَ ؟ »

« عَلَيَّ أَنْ أَتَحَدَّثَ إلَيْكِ بِكُلِّ جِدِّيَّةٍ يا آنِسةُ برايْتُون . لَقَدْ أَبْلَغْنا ٱلشُّرْطةَ . وَما مِنْ شَكٍّ في أَنَّ وَفاةَ ٱلسَّيِّدةِ فِير كانَتْ بِسَبَبِ مُخَدِّرٍ قَوِيٍّ لِلْغايةِ — بَعْدَ أَنْ شَرِبَتْ قَهْوَتَها في ٱللَّيْلةِ ٱلماضِيةِ . مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّها لَمْ تَتَناوَلِ ٱلمُخَدِّرَ بِنَفْسِها . فَلَيْسَ هُناكَ عُلْبةُ دَواءٍ أَوْ قِنِّينةٌ . »

« إذًا فَأَنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلمُخَدِّرَ كانَ بِالقَهْوةِ ؟ »

« أَعْرِفُ أَنَّ ٱلسَّـيِّدةَ فِير قالَتْ لي ذاتَ مَرَّةٍ إنَّكِ عَدِيمةُ ٱلِانْتِباهِ أَحْيانًا ، وَلا تُفَكِّرِينَ فيما تَقومينَ بِهِ . »

« لا ! مِنْ أَيْنَ كُنْتُ سَأُحْضِرُ مِثْلَ هٰذا ٱلمُخَدِّرِ . لَيْسَ فِي تِلْكَ ٱلقَهْوةِ شَيْءٌ . »

« هٰذا يَعْني أَنَّكِ تَعْتَقِدينَ أَنَّ رُودْكِين هُوَ ٱلَّذي وَضَعَ ٱلمُخَدِّرَ ؟ »

« لا بِالطَّبْعِ ! »

سَمِعْتُ طَرْقةً بِالبابِ : « مَنْ ، رُودْكِين ؟ سَوْفَ أَنْزِلُ إِلَيْهِمْ . »

مَرَّتِ ٱلسَّاعاتُ ، ثُمَّ سَمِعْتُ طَرْقًا على ٱلبابِ . ها قَدْ جاءَتِ ٱلشُّرْطةُ أَخيرًا . وَلٰكِنَّ رَجُلَ ٱلشُّرْطةِ ٱلَّذي جاءَ لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي أَتَوَقَّعُهُ . لَقَدْ كانَ نَحيفًا ، مُحْدَوْدِبَ ٱلظَّهْرِ ، ذا شَعْرٍ رَمادِيٍّ وَمَلابِسَ قَديمةٍ لَمْ تَكُنْ تُناسِبُهُ تَمامًا . وَكانَتِ ٱلشَّفَقةُ تُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهِ ٱلزَّرْقاوَيْنِ .

قالَ : « أَنا أَلِكْسَنْدَر مَكْنُوت ، رَئيسُ ٱلشُّرْطةِ . » ثُمَّ قالَ : « أَنْتِ جِيلْيان برايْتُون ٱلفَتاةُ ٱلَّتي أَعَدَّتِ ٱلقَهْوةَ . »

« نَعَمْ ، أَنا ٱلَّتي أَعْدَدْتُها . »

« أَنْتِ وَصيفةٌ لِلْمُعاوَنةِ هُنا ، وَلا يَعْرِفُ أَحَدٌ ما هِيَ واجِباتُكِ بِٱسْتِثْناءِ

أَنَّكِ مُكَلَّفَةٌ بِإِعْدادِ ٱلقَهوةِ . »

ثُمَّ أَدارَ نَظَرَهُ في ٱلغُرْفةِ وَرَأى حَقائِبي ٱلَّتي هِيَ في طَوْرِ ٱلإِعْدادِ .

« هَلْ فُصِلْتِ مِنَ ٱلعَمَلِ ، وَطُلِبَ مِنْكِ أَنْ تَذْهَبي ؟ »

« لا ، لَقَدْ قُلْتُ لِلسَّيِّدةِ فِير إِنِّي أَرْغَبُ في ٱلذَّهابِ . وَقَدْ أَخْبَرْتُها بِذٰلِكَ ٱللَّيْلةَ ٱلماضِيةَ ؟ »

« لِنَذْهَبْ وَنَر تِلْكَ ٱلغُرْفةَ ٱلَّتي أَعْدَدْتِ فيها ٱلقَهْوةَ . هَلْ صَحيحٌ أَنَّ مَعَكِ مِفْتاحَها ٱلوَحيدَ ؟ »

« أَعْتَقِدُ ذٰلِكَ . » وَأَرَيْتُهُ ٱلمِفْتاحَ ٱلَّذي كُنْتُ أَضَعُهُ في وِعاءٍ صَغيرٍ ، فَأَخَذَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَإِلى مِفْتاحِ غُرْفَتي .

قالَ : « أُلاحِظُ أَنَّ ٱلمَفاتيحَ مُخْتَلِفةٌ في هٰذا ٱلبَيْتِ . »

نَزَلْنا ، وَقامَ بِفَتْحِ بابِ ٱلغُرْفةِ ٱلصَّغيرةِ وَقالَ : « لا تُحاوِلي أَنْ تَلْمِسي شَيْئًا . وَٱلآنَ قُولي لي بالضَّبْطِ ماذا فَعَلْتِ في آخِرِ مَرَّةٍ كُنْتِ هُنا . »

قُمْتُ بِإِعادةِ ٱلقِصَّةِ ، وَأَرَيْتُهُ كُلَّ شَيْءٍ : وِعاءَ ٱلقَهْوةِ وَٱلفَناجينَ وَٱلصَّوانِيَ . وَعِنْدَما بَدَأْتُ أَتَحَدَّثُ عَنِ ٱلحُبوبِ ٱسْتَوْقَفَني وَسَأَلَني : « أَيْنَ أُنْبوبُ ٱلحُبوبِ ؟ »



« هُناكَ . » وَأَشَرْتُ إِلَيْهِ : لَقَدْ كانَ في مَكانِهِ ٱلمُعْتادِ أَمامَ ٱلرَّفِّ ٱلأَوَّلِ . وَلٰكِنِّي صُدِمْتُ عِنْدَما نَظَرْتُ إِلَيْهِ : لَقَدْ كانَ بِنَفْسِ ٱلشَّكْلِ وَكانَ شِبْهَ مَمْلوءٍ ــ كَما يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ــ وَلٰكِنَّ ٱلوَرَقَةَ ٱلمُلْصَقَةَ عَلَيْهِ كانَ عَلَيْها كِتابَةٌ مُخْتَلِفَةٌ . اِنْحَنَيْتُ لِأَقْرَأَها ، وَقامَ مَكْنُوت بِقِراءَتِها كَذٰلِكَ وَكانَ عَلَيْها مايَلي : « ٱلسَّيِّدَةُ فِير ــ حَبَّةٌ واحِدَةٌ إِذا ٱشْتَدَّ ٱلأَلَمُ . »

قُلْتُ : « لَقَدْ حَدَثَ خَطَأٌ . لَيْسَ هٰذا أُنْبوبَ جُولْيان . »

سَأَلَني : « هَلْ هٰذِهِ هِيَ ٱلحُبوبُ ٱلَّتي ٱسْتَخْدَمْتِها ٱللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ ؟ »
« لا أَدْري . لَقَدْ كانَتِ ٱلغُرْفَةُ مُظْلِمَةً ، وَلٰكِنِّي وَضَعْتُ ٱلحُبوبَ في

فِنْجانِ جُولْيَان . يَبْدُو أَنَّ هٰذِهِ ٱلحُبوبَ خاصَّةٌ بِرِيتا ــ إنَّ عَلَيْها ٱسْمَ ٱلسَّيِّدةِ فِير . »

اِنْحَنى مَرَّةً أُخْرى وَنَظَرَ إلى ٱلجُزْءِ ٱلأَسْفَلِ مِنَ ٱلوَرَقةِ ٱلمَكْتوبةِ . رُبَّما كانَ يَنْظُرُ إلى ٱلتَّاريخِ . وَلَمْ أَسْتَطِعْ قِراءَتَهُ ، وَيَبْدو أَنَّ لِهٰذا ٱلتَّاريخِ دَلالةً عِنْدَهُ . دَعا رُودْكِين ٱلَّذي جاءَ عَلى ٱلفَوْرِ ، كَما لَوْ كانَ في ٱنْتِظارِ مَنْ يَدْعُوهُ . فَأَراهُ مَكْنُوت ٱلأُنْبوبَ قائِلًا : « لا تَلْمِسْهُ ، وَلٰكِنِ ٱنْظُرْ إلَيْهِ . هَلْ سَبَقَ أَنْ رَأَيْتَهُ ؟ »

قالَ : « يا إلٰهي لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّنا تَخَلَّصْنا مِنْهُ . كانَتْ آخِرُ مَرَّةٍ رَأَيْتُهُ فيها عِنْدَما كانَ في يَدِ زَوْجَتي هارِيت . وَقَدْ ماتَتْ زَوْجَتي مُنْذُ سِنينَ ، وَكانَتْ خادِمةَ ٱلسَّيِّدةِ فِير والِدةِ جُولْيَان . »

« هَلْ قالَتْ لَكَ زَوْجَتُكَ شَيْئًا عِنْدَما أَرَتْكَ هٰذا ٱلأُنْبوبَ ؟ »

« لَقَدْ كانَ ذٰلِكَ يَوْمَ أَنْ دُفِنَتِ ٱلسَّيِّدةُ فِير ، وَكُنَّا نَقومُ بِتَرْتيبِ مَلابِسِها فَأَرَتْني هٰذا ٱلأُنْبوبَ وَقالَتْ : « لَقَدْ كانَ هٰذا دَواءً عَجيبًا . لَقَدْ أَعْطاها إِيَّاهُ ٱلطَّبيبُ عِنْدَما ٱشْتَدَّ عَلَيْها ٱلأَلَمُ كَثيرًا . »

« هَلْ هُوَ ٱلطَّبيبُ نَفْسُهُ ٱلَّذي رَأَيْتُهُ ٱليَوْمَ صَباحًا ؟ »

« لا يا سَيِّدي ــ أَخُوهُ . لَقَدْ ماتَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِعامٍ . »

« هَلْ تَعْرِفُ ماذا صَنَعَتْ زَوْجَتُكَ بِالأُنْبوبِ ؟ »

« طَلَبْتُ مِنْها أَنْ تُعيدَهُ لِلطَّبيبِ ، وَلٰكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّها خَبَّأَتْهُ في مَكانٍ ما في ٱلبَيْتِ مُعْتَقِدةً أَنَّهُ مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ تَكونَ لَهُ فائِدةٌ في ٱلمُسْتَقْبَلِ . لَقَدْ كانَتْ تِلْكَ عادَتَها ؛ إِذْ كانَتْ مُغْرَمةً بإِخْفاءِ ٱلأَشْياءِ ، عَسى أَنْ تَكونَ لَها فائِدةٌ في يَوْمٍ ما . »

« هَلْ رَأَيْتَ ٱلأُنْبوبَ بَعْدَ ذٰلِكَ ؟ »

« لا يا سَيِّدي ، أَبَدًا ـــ لَمْ أَرَهُ حَتَّى ٱليَوْمِ . »

« أَ تَعْرِفُ ما هٰذا ؟ »

« أَعْتَقِدُ أَنِّي أَعْرِفُ يا سَيِّدي . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ ٱلمُورْفين . هٰذا ما قالَتْهُ هارِيت . »

« وَأَنْتِ يا آنِسةُ برايْتُون ، أَ تَعْرِفينَ كَمْ مِنَ ٱلمُورْفين يَكْفي لِيُسَبِّبَ ٱلوَفاةَ ؟ »

أَجَبْتُ : « لا ! »

نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرةَ ٱسْتِغْرابٍ وَقالَ : « هٰذا غَريبٌ ! »

طَلَبَ مِنِّي مَكْنُوت أَنْ أَبْقى في غُرْفَتي ، وَوَضَعَ شُرْطِيًّا أَمامَ بابِ

ٱلغُرْفةِ . وَلَمْ يَسْمَحْ لِأَحَدٍ بِأَنْ يَأْتِيَ لِزِيارَتي . وَكانَ ٱلشُّرْطِيُّ هُوَ ٱلَّذي يُحْضِرُ لِيَ ٱلطَّعامَ .

كانَ في حَمَّامي دُولابٌ ، إذا نَزَعْتَ أَلْواحَ أَرْضِيَّتِهِ ٱلخَشَبِيَّةِ أَمْكَنَكَ أَنْ تَرى ما يَحْدُثُ بِالمَطْبَخِ . وَقَدْ سَمِعْتُ طَرَقاتٍ عَلى تِلْكَ ٱلأَلْواحِ ، فَفَتَحْتُ ٱلدُّولابَ وَنَزَعْتُها وَنَظَرْتُ إلى ٱلمَطْبَخِ ، فَرَأَيْتُ ٱلسَّيِّدةَ مَنْسِن واقِفةً عَلى كُرْسِيٍّ كَيْ تَنْظُرَ إلَيَّ خِلالَ ٱلفُتْحةِ .

قالَتْ : « لا تَخافي ، إنَّ مَكْنُوت في ٱلِاسْتُودْيُو ، يَقومُ بِإدْخالِنا واحِدًا واحِدًا وَٱسْتِجْوابِنا . »

« هَلْ ذَهَبَ ٱلطَّبيبُ إلى ٱلبَيْتِ ؟ »



« نَعَمْ ، وَلٰكِنَّهُمْ أَمْسَكوا بِميتْزي وَهِيَ تَتَّصِلُ تِليفُونِيًّا بِدُكْتُور فُوبِيُس . »

« هَلْ جاءَ ؟ »

« لا ، لَمْ يَأْتِ حَتَّى ٱلآنَ ، تَذَكَّري ما قُلْتُهُ لَكِ : أَبْعِدي ٱلسَّيِّدَ جُولْيان عَنِ ٱلمَوْضوعِ . »

« نَعَمَ سَوْفَ أَفْعَلُ ذٰلِكَ . أَعِدُكِ . »

قُلْتُ لِنَفْسي : « إِنَّ ما فَعَلْتُهُ كانَ مُجَرَّدَ خَطَإٍ ، وَلَيْسَ في وُسْعِهِمْ أَنْ يُسَمُّوهُ جَريمَةَ قَتْلٍ . وَلٰكِنْ رُبَّما ٱعْتَقَدُوا أَنَّ لَدَيَّ ما يَدْفَعُني لِذٰلِكَ . رُبَّما ٱعْتَقَدُوا أَنَّ لِجُولْيان وَلي سَبَبًا قَوِيًّا لِارْتِكابِ ٱلجَريمَةِ ، لَيْسَ هُناكَ دَليلٌ ضِدّي . » ثُمَّ تَذَكَّرْتُ ٱلشّيكَ وَٱلخِطابَ ٱلمُرْسَلَ إِلى ٱلمَصْرِفِ ، فَعُدْتُ وَنَظَرْتُ في حَقيبَتي : لَقَدْ كانَتْ فارِغَةً ! لَقَدْ فَتَّشوا ٱلغُرْفَةَ وَأَخَذوا مُحْتَوياتِ ٱلحَقيبَةِ .

أَطَلَّ ٱلشُّرْطِيُّ بِرَأْسِهِ مِنَ ٱلبابِ في ٱلسّاعَةِ ٱلثّالِثَةِ قائِلًا : « أَنْتِ مَطْلوبَةٌ في ٱلدَّوْرِ ٱلسُّفْلِيِّ . »

عِنْدَما دَخَلْتُ الِاسْتُودْيُو رَأَيْتُ ٱلشّيكَ وَٱلخِطابَ عَلى ٱلمائِدَةِ . وَٱبْتَسَمَ مَكْنُوت ، وَلَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ مِنْهُ ذٰلِكَ .

« هُناكَ شَيْئانِ يا مِسْ برايْتُون بَحَثْنا عَنْهُما في كُلِّ مَكانٍ دُونَ أَنْ نَجِدَهُما . » وَأَدارَ نَظَرَهُ في أَرْجاءِ ٱلغُرْفةِ . نَعَمْ ، إنَّ ذٰلِكَ ٱلبِيانُو ٱلحَديثَ ذا ٱللَّوْنَيْنِ ٱلرَّمادِيِّ وَٱلأَبْيَضِ ، وَتِلْكَ ٱلقَنانِيَّ ٱلمَوْجودةَ في ٱلدُّولابِ ٱلرُّكْنِيِّ تَبْدو في غَيْرِ مَوْضِعِها .

« نَحْنُ نَبْحَثُ عَنِ ٱلمِفْتاحِ ٱلثَّاني لِتِلْكَ ٱلغُرْفةِ — إذا كانَ هُناكَ مِفْتاحٌ ثانٍ لَها — إنَّ قُفْلَها غَيْرُ عادِيٍّ ولا يَفْتَحُهُ أَيُّ مِفْتاحٍ بِٱلبَيْتِ . »

« كانَ مِفْتاحُها مَوْجودًا في ٱلإناءِ ٱلصَّغيرِ بِحُجْرَتي طَوالَ ٱليَوْمِ . »

« وَكُنْتِ تَقومينَ بِإعْدادِ حَقائِبِكِ في غُرْفَتِكِ مِنَ ٱلسَّاعةِ ٱلسَّادِسةِ وَٱلنِّصْفِ حَتَّى ٱلتَّاسِعةِ إلَّا ٱلرُّبْعَ ، وَلَمْ تَقومي بِإعْطاءِ ٱلمِفْتاحِ لِأَيِّ شَخْصٍ ؟ لا ؟ أَمَّا ٱلشَّيْءُ ٱلآخَرُ ٱلَّذي أَبْحَثُ عَنْهُ فَهُوَ حُبوبُ ٱلسَّيِّدِ فِير . »

« لَقَدْ وَضَعْتُ أَرْبَعًا مِنْها في فِنجانِهِ وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ ما في ٱلفِنْجانِ . »

« نَعَمْ لَقَدْ قُلْتِ ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ . » وَأَشارَ إلى ٱلكُرْسِيِّ قائِلًا : « اِجْلِسي . أُريدُ أَنْ أُحادِثَكِ في مَوْضوعٍ آخَرَ . إنَّ ٱلسَّيِّدَ فِير قالَ لي إنَّهُ هُوَ ٱلَّذي نَصَحَكِ بِتَرْكِ ٱلعَمَلِ . وَٱلسَّبَبُ ٱلَّذي ذَكَرَهُ هُوَ أَنَّهُ ٱعْتَقَدَ أَنَّكِ ٱزْدَدْتِ تَعَلُّقًا بِهِ . هَلْ هٰذا صَحيحٌ ؟ »

« إنّي أُعِزُّهُ حَتّى إنّي كُنْتُ عَلى ٱسْتِعْدادٍ لِأَنْ أُجيبَ أَيَّ طَلَبٍ لَهُ . وَعِنْدَما قالَ إنَّهُ يُريدُ مِنّي أَنْ أَفْعَلَ ذٰلِكَ ، لَمْ يَكُنْ في وُسْعي إلّا أَنْ أُوافِقَ . لَقَدْ كُنْتُ أُريدُ تَقْديمَ أَيِّ مُساعَدةٍ ، وَأَنْ أَفْعَلَ ما يُريدُ . »

اِتَّكَأَ عَلى كُرْسِيِّهِ وَقالَ : « إنّي أَفْهَمُ ما تَقْصِدينَ . » ثُمَّ أَضافَ قائِلًا : « لَقَدْ قالَ لِيَ ٱلسَّيِّدُ فِير إنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ أَحْضَرَتْكِ إلى ٱلبَيْتِ حَتّى يَقَعَ في غَرامِكِ ، وَهٰكَذا يُصْبِحُ لَدى ٱلقاضي سَبَبٌ قَوِيٌّ لِأَنْ يَحْكُمَ بِطَلاقِها ، مَعَ حُصولِها عَلى مَبْلَغٍ ضَخْمٍ مِنَ ٱلمالِ بِصِفةِ تَعْويضٍ ، لِكَيْ تَتَمَكَّنَ بِهٰذِهِ ٱلنُّقودِ مِنَ ٱلحَياةِ بَعْدَ ٱلطَّلاقِ . هَلْ هٰذا صَحيحٌ ؟ »

« هٰذا مُسْتَحيلٌ . لَقَدِ ٱسْتَخْدَمَتْني رِيتا لِثِقَتِها بي . لَقَدْ قالَ لِيَ ٱلطَّبيبُ هٰذا في بِدايةِ عَمَلي . »

« نَعَمْ ، لَقَدْ أَخْبَرَني ٱلطَّبيبُ بِذٰلِكَ . وَلٰكِنْ هُناكَ آخَرونَ يَعْتَقِدونَ أَنَّ ٱلسَّبَبَ ٱلآخَرَ هُوَ ٱلحَقيقِيُّ . »

« أَنا لا أَرى ذٰلِكَ . إنَّها فِكْرةٌ مُفْزِعةٌ ، لا أَتَصَوَّرُ أَنَّها تَخْطِرُ لِأَيِّ شَخْصٍ . لَقَدِ ٱخْتارَتْني رِيتا لِأَنَّنا كُنّا صَديقَتَيْنِ بِٱلمَدْرسةِ . »

نَظَرَ إلَيَّ وَقالَ : « هَلْ هُناكَ عَلى ظَهْرِ ٱلأَرْضِ مَنْ يَبْدو في بَراءَتِكِ . لَيْسَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ تَتَوَثَّقَ بَيْنَكُما أَواصِرُ ٱلصَّداقةِ ، فَهُناكَ ٱخْتِلافٌ كَبيرٌ

في ٱلسِّنِّ بَيْنَكُما . لِماذا أُدَرْتِ ٱلمِصْباحَ بِحَيْثُ تَنْقَطِعُ عَنْهُ ٱلكَهْرَباءُ ؟ »

« لَمْ أَفْعَلْ هٰذا . لِماذا أَفْعَلُهُ ؟ »

« لَقَدْ أَعْدَدْتِ كُلَّ شَيْءٍ أَنْتِ وَٱلسَّيِّدَةُ فِير . وَقَدْ تَوَقَّعَ ٱلسَّيِّدُ فِير هٰذا في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ ــ هَلْ هٰذا صَحيحٌ ؟ »

« لا ! »

فَاجَأَنا صَوْتٌ ناعِمٌ آتٍ مِنْ عِنْدِ ٱلمَدْخَلِ يَقولُ : « أَنا مُتَأَسِّفٌ ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا هُنا . »

نَظَرَ مَكْنُوت إِلَيْهِ غاضِبًا وَقالَ : « مَنِ ٱلَّذي سَمَحَ لَكَ بِالدُّخولِ ؟ » تَغَيَّرَ شَكْلُ هَنْري فُويْبُس بِشَكْلٍ مُذْهِلٍ : إِسْتَطالَ وَجْهُهُ ٱلمُسْتَديرُ ، وَٱنْطَفَأَ لَمَعانُ عَيْنَيْهِ ، وَبَدا كَما لَوْ كانَ يُعاني مِنْ صَدْمَةٍ مُرْعِبَةٍ .

« لَقَدْ كُنْتُ بِٱلبَيْتِ مُنْذُ فَتْرَةٍ وَسَأُغادِرُهُ عَلى ٱلفَوْرِ . »

مَشَى مَكْنُوت وَراءَ فُويْبُس حَتَّى ٱلقاعَةِ ، وَسَمِعْتُهُ يَتَحَدَّثُ غاضِبًا إِلى رَجُلِ ٱلشُّرْطَةِ . وَعِنْدَما عادَ كانَتْ عَيْناهُ تُعَبِّرانِ عَنْ مَشاعِرَ مُخْتَلِفَةٍ .

« مَنْ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ ؟ »

« إِنَّهُ دُكْتُور هَنْري فُويْبُس . لَقَدْ أَخْبَرَتْني رِيتا إِنَّهُ مُديرُ أَعْمالِها . »

« هَلْ كانَ يَعْرِفُها أثْناءَ وُجودِها بِالخارِجِ ، في فَرَنْسا وَغَيْرِها مِنَ آلدُّوَلِ ؟ »

ثُمَّ كَرَّرَ « مُديرُ أعْمالِها ... مُديرُ أعْمالِها . »

وَوَقَفَ كَأنَّما خَطَرَتْ بِذِهْنِهِ فِكْرَةٌ مُفاجِئَةٌ غَيْرُ مَعْقولَةٍ ، وَسَألَني : « مَتَى قابَلْتَهُ أوَّلَ مَرَّةٍ ؟ »

أجَبْتُ : « لا أعْرِفُ . أنا لا أعْرِفُ مَتَى قابَلْتَهُ أوَّلًا . »

قالَ : « لا ، أنْتِ لا تَعْرِفينَ ذٰلِكَ . وَآلآنَ يُمْكِنُكِ أنْ تَذْهَبي إلى غُرْفَتِكِ وَتَبْقَيْ هُناكَ . »

بَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ جاءَني رَجُلُ آلشُّرْطَةِ بِالشّاي عَلى صينِيَّةٍ . جَلَسْتُ هُناكَ أنْظُرُ إلى آلصِّينِيَّةِ ، لَقَدْ كانَتْ وَرْدِيَّةَ آللَّوْنِ ، إنَّها آلصِّينِيَّةُ نَفْسُها آلَّتي كُنْتُ قَدْ أرْسَلْتُها إلى رِيتا في آللَّيْلَةِ آلماضِيَةِ . لِماذا أخَذُوها مِنَ آلِاسْتُودْيُو وَأرْسَلوا لي عَلَيْها آلشّايَ ؟ لِماذا تَبْلُغُ آلقَسْوَةُ بِهِمْ هٰذا آلحَدَّ ؟ أخَذْتُ آلشّايَ مِنْ عَلَيْها ثُمَّ أضَأْتُ آلمِصْباحَ ، وَعِنْدَئِذٍ رَأيْتُ أنَّ آلصِّينِيَّةَ لَمْ تَكُنْ وَرْدِيَّةَ آللَّوْنِ بَلْ صَفْراءَ . وَهٰكَذا بَدَأَتِ آلحَقيقَةُ ، أوْ بَدَأَ جُزْءٌ مِنَ آلحَقيقَةِ يَتَّضِحُ لي بِبُطْءٍ .

قَرَّرْتُ أنْ أظَلَّ في مَكاني حَتَّى مُنْتَصَفِ آللَّيْلِ ، وَألّا أغامِرَ بِتَنْفيذِ فِكْرَتي

قَبْلَ ذٰلِكَ . لَقَدْ قَرَّرْتُ أَنْ أَنزِلَ إلى ٱلِاسْتُوذْيُو فِي ٱلدَّوْرِ ٱلسُّفْلِيِّ وَأَرَى ٱلصِّينِيَّةَ ٱلأُخْرى ، هٰذا إذا لَمْ تَكُنْ قَدْ أُخِذَتْ مِنْ هُناكَ .

في حَوالى ٱلسَّاعَةِ ٱلعاشِرَةِ سَمِعْتُ ٱلسَّيِّدَةَ مَنْسِين تَطْرُقُ ٱلأَلْواحَ ٱلسُّفْلِيَّةَ في دُولابِ ٱلحَمَّامِ ، وَرَأَيْتُها واقِفَةً عَلى كُرْسِيٍّ ناظِرَةً نَحْوي ، هَمَسَتْ قائِلَةً : « لَقَدْ ذَهَبَ مَكْنُوت أَخيرًا وَلَنْ يَبْقى رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ ٱلآخَرونَ طَوالَ ٱللَّيْلِ . وَيَعْتَقِدُ رُودْكِين أَنَّهُمْ سَوْفَ يَتْرُكونَ أَحَدَ رِجالِهِمْ فَقَطْ . وَقَدِ ٱنْصَرَفَ دُكْتُور فُويْس كَذٰلِكَ . لَقَدْ أَمَرْتُهُ بِمُغادَرَةِ ٱلبَيْتِ ، فَلا يُوجَدُ هُنا مَجالٌ لِلزُّوَّارِ . وَكانَ يَجوبُ أَنْحاءَ ٱلبَيْتِ كَما لَوْ كانَ مَجْنونًا . وَقَدْ وَجَدَتْهُ لِيلِي في غُرْفَةِ نَوْمِ ٱلسَّـيِّدَةِ فِير . »

« في غُرْفَةِ رِيتا ؟ »

« نَعَمْ ، وَسَأَلَ لِيلِى ' أَلا تَزالُ ٱلشُّرْطَةُ في الِاسْتُوذْيُو ؟ ' وَمَعْنى ذٰلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ إلى هُناكَ . لَقَدْ كانَ يَتَهامَسُ مَعَ مِيتْزِي في كُلِّ أَرْجاءِ ٱلمَنْزِلِ طَوالَ ٱليَوْمِ . كانا يَبْحَثانِ عَنْ شَيْءٍ ما . عَلَيْكِ ٱلآنَ أَنْ تَنامي . »

« أَنا لَمْ أَرْتَكِبِ ٱلجَرِيمَةَ يا سَيِّدَةُ مَنْسِين . »

« اِذْهَبي إلِي فِراشِكِ وَصَلِّي . »

فَتَحْتُ بابِي في ٱلسَّاعَةِ ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ وَنَظَرْتُ مِنْهُ . لَقَدْ غادَرَ ٱلشُّرْطِيُّ

ٱلمَكانَ . وَكانَ رُودْكِين قَدْ قالَ إِنَّهُمْ قَدْ يَتْرُكونَ رَجُلًا في ٱلقاعَةِ لِلْحِراسَةِ ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَكُنْ مُتَأَكِّدةً أَنَّني كُنْتُ وَحْدي في ذٰلِكَ ٱلجُزْءِ مِنَ ٱلبَيْتِ . وَراوَدَني شُعورٌ بِأَنِّي أَسْمَعُ خُطُواتٍ ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ أَحَدٍ هُناكَ . وَتَخَيَّلْتُ مَرَّةً أَنِّي لَمَحْتُ شَيْئًا ما يَخْتَفي ، شَيْئًا مِثْلَ رِداءٍ أَوْمِعْطَفٍ يَخْتَفي وَراءَ ٱلرُّكْنِ .

أَطْفَأْتُ ٱلنُّورَ خارِجَ غُرْفَتي ، ثُمَّ رَقَدْتُ عَلى فِراشي أَنْتَظِرُ . قُلْتُ لِنَفْسي : « إِذا ٱنْتَظَرْتُ مُدَّةً كافِيَةً فَقَدْ يُمْكِنُني أَنْ أَمُرَّ بِجِوارِ ٱلشَّخْصِ ٱلمَوْجودِ في ٱلقاعةِ بَعْدَ أَنْ يَغْفُوَ ثُمَّ أَذْهَبَ إِلى ٱلِاسْتُودْيُو . »

فَتَحْتُ بابَ غُرْفَتي في ٱلسّاعةِ ٱلواحِدةِ صَباحًا وَخَرَجْتُ مِنْها . وَكُنْتُ قَدْ نَزَعْتُ حِذائِي حَتَّى لا أُحْدِثَ صَوْتًا . وَٱنْشَغَلْتُ بِمُحاوَلَةِ مَعْرِفَةِ ما إِذا كانَ هُناكَ حارِسٌ في ٱلقاعةِ ، حَتَّى إِنَّني ٱنْشَغَلْتُ عَمَّا قَدْ يَكُونُ حَوْلي . وَعِنْدَما وَصَلْتُ إِلى مُنْتَصَفِ ٱلدَّرَجِ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنِّي سَمِعْتُ شَخْصًا يَتَنَفَّسُ . فَتَوَقَّفْتُ وَنَظَرْتُ خَلْفي وَأَنا عَلى يَقينٍ أَنَّ هُناكَ شَخْصًا في ٱلظَّلامِ . وَقَفْتُ لَحْظةً وَكَأَنَّما قَدْ جَمُدْتُ ، ثُمَّ تَحَرَّكْتُ في ٱلنِّهايَةِ وَوَصَلْتُ إِلى أَسْفَلِ ٱلدَّرَجِ ، وَكانَ بابُ ٱلِاسْتُودْيُو في ٱلطَّرَفِ ٱلآخَرِ مِنَ ٱلقاعةِ .

وَفي تِلْكَ ٱللَّحْظةِ سَمِعْتُ صَوْتًا قَريبًا وَرائي ، ثُمَّ ظَهَرَ شُعاعُ ضَوْءٍ مِنْ

بابِ ٱلِاسْتُودْيُو أَضاءَ عَلَيْنا نَحْنُ ٱلِاثْنَيْنِ : أَنا وَٱلشَّخْصِ ٱلواقِفِ وَرائِي . لَقَدْ كانَ جُولْيان وَرائِي ، فَأَحاطَني بِذِراعَيْهِ .

وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ ٱلخائِفَتَيْنِ ، وَفَمَهُ ٱلَّذي كانَ أَشْبَهَ بِخَطٍّ غائِرٍ في وَجْهِهِ . وَعِنْدَما فَتَحْتُ شَفَتَيَّ لِأَتَكَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِما . لَقَدْ كانَ جُولْيان هُوَ ٱلَّذي ظَلَّ عَلى مَقْرَبَةٍ مِنِّي طَوالَ ٱلمَساءِ . وَكانَ يَحْرُسُ بابي بَعْدَ أَنْ غادَرَتِ ٱلشُّرطَةُ ٱلمَكانَ .

اِقْتَرَبَ شُعاعُ ٱلضَّوْءِ وَرَأَيْتُ وَجْهَ مَكْنُوت مِنْ خِلالِ ٱلضَّوْءِ ، فَأَشارَ إِلَيْنا أَنْ نَلْتَزِمَ ٱلصَّمْتَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جُولْيان بِٱلإِيجابِ ثُمَّ ٱنْطَفَأَ ٱلنُّورُ .

اِنْتَظَرْنا هُناكَ في ٱلظَّلامِ ٱلدَّامِسِ .

لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ أَدْنى فِكْرَةٍ عَمَّا كانَ يَجْري ، وَفَجْأَةً سَمِعْتُ صَوْتًا يَصيحُ قائِلًا : « اَلآنَ ! » لَقَدْ كانَ صَوْتَ مَكْنُوت .

اِنفَتَحَ بابُ ٱلِاسْتُودْيُو وَٱنْدَفَعَتْ مِنْهُ بَعْضُ ٱلأَقْدامِ : لَقَدْ كانَ عَدَدٌ مِنْ رِجالِ ٱلشُّرطَةِ مُخْتَبِئينَ داخِلَ ٱلقاعَةِ في ٱنْتِظارِ شَيْءٍ ما سَيَحْدُثُ في ٱلاسْتُودْيُو . وَقامَ رِجالُ ٱلشُّرطَةِ بِنَقْلي أَنا وَجُولْيان إِلى داخِلِ ٱلغُرْفَةِ ٱلَّتي ماتَتْ رِيتا فِيها . وَهُناكَ رَأَيْتُ هَنْري فُويْبُس . كانَ جاثِيًا عَلى رُكْبَتَيْهِ وَقَدْ أَدْخَلَ يَدَهُ في دُرْجٍ خَفِيٍّ مَوْجُودٍ تَحْتَ ٱلدُّولابِ ٱلكَبيرِ ٱلَّذي كانَتْ في

قَعْرِهِ الظّاهِرِ قَوارِيرُ كَثيرةٌ . لَقَدْ كانَ ذٰلِكَ ٱلدُّرْجُ سِرِّيًّا ، وَلَمْ يَدُرْ في خَلَدي قَطُّ أَنَّهُ مَوْجودٌ هُناكَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ بِمَكانِهِ إِلَّا ٱلسَّيِّدَةُ فِير وَهاريت .

كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ تَعَرَّفَ عَلى فُويِيُس فَصاحَ بي قائِلًا : « أَنْتِ ٱلَّتي قَتَلْتِها . لَقَدْ كُنْتِ تَعْرِفينَ . » فَأَمْسَكَ بِهِ أَحَدُ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ ، وَذَهَبَ مَكْنُوت لِيَفْحَصَ ٱلدُّولابَ ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يُمْسِكُ بِأُنْبوبٍ صَغيرٍ في يَدِهِ وَقالَ : « أُنْظُري ! »

لَقَدْ كانَ أُنْبوبَ دَواءِ جُولْيان .

« وَهٰذا مِفْتاحٌ آخَرُ لِتِلْكَ ٱلغُرْفَةِ ــ مِفْتاحٌ جَديدٌ . هٰذا هُوَ كُلُّ ما نَحْتاجُهُ مِنْ أَدِلَّةٍ عَلى مُحاوَلَةِ قَتْلِ ٱلسَّيِّدَةِ فِير . » ثُمَّ ٱسْتَدارَ إِلى رِجالِ



ٱلشُّرطةِ آمِرًا : « خُذوهُ . »

جَلَسْنا في غُرْفةِ ٱلمُوسِيقى ، وَوَضَعَ رُوذْكِين مَزيدًا مِنَ ٱلحَطَبِ في ٱلمِدْفَأةِ ، وَجاءَتِ ٱلسَّـيِّدةُ مَنْسِن بِالشَّاي ، وَٱنْتَظَرَ مَكْنُوت حَتَّى ذَهَبا ثُمَّ ٱسْتَدارَ نَحْوَ جُولْيان وَقالَ : « إِنَّها لَمْ تَكُنْ زَوْجَتَكَ، بَلْ زَوْجَةَ هَنْري فُويْبُس . إِنَّهُما مُجْرِمانِ ماهِرانِ . كانَتْ رِيتا رِيفْين قَدْ ذَهَبَتْ مَعَ أُمِّها إِلى فَرَنْسا مُنْذُ عَشْرِ سِنينَ ، وَهُناكَ قابَلَتْ فُويْبُس ، وَكانَ يَرْتَكِبُ عَدَدًا مِنَ ٱلجَرائِمِ ٱلصَّغيرةِ . وَبَعْدَ أَنْ تَزَوَّجا ٱتَّجَها نَحْوَ ٱرْتِكابِ جَرائِمَ أَكْبَرَ — جَرائِمِ ٱلِابْتِزازِ . لَقَدْ كانا يَبْحَثانِ عَنْ أَخْطاءِ ٱلأَغْنِياءِ وَيُرْغِمانِهِمْ عَلى دَفعِ أَمْوالٍ طائِلةٍ لَهُما مُقابِلَ عَدَمِ إِفْشاءِ أَسْرارِهِمْ . وَقَدْ جاءا إِلى لَنْدَن في بِدايةِ ٱلحَرْبِ . وَكُنْتَ أَنْتَ أَحَدَ ٱلأَغْنِياءِ ٱلَّذينَ وَقَعوا في حَبائِلِهِما ، لَقَدْ أَوْشَكْتَ عَلى مُغادَرةِ ٱلبِلادِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ تَعودَ . وَكُنْتَ في حاجةٍ إِلى مَنْ يَرْعى ٱلبَيْتَ وَٱلخَدَمَ ٱلقُدامى ٱلمُقيمينَ فيهِ ، فَأَوْهَمَتْكَ أَنَّها سَتَكُونُ ٱلزَّوْجةَ ٱلمُناسِبةَ ٱلَّتي تَحْتاجُ إِلَيْها لِتَحْقيقِ هٰذا ٱلهَدَفِ . وَبَعْدَ أَنْ تَزَوَّجْتَها سافَرْتَ إِلى ٱلخارِجِ ، وَأَرْغَمَها مُحاميكَ عَلى ٱلِاحْتِفاظِ بِقُدامى ٱلخَدَمِ ، وَلٰكِنَّها عاشَتْ حَياةً صاخِبةً . ثُمَّ عُدْتَ أَنْتَ رَجُلًا مَريضًا ، وَلٰكِنَّ صِحَّتَكَ كانَتْ قَدْ بَدَأَتْ تَتَحَسَّنُ ، فَأَخَذَ أَصْدِقاؤُها ٱلصَّاخِبونَ يَبْتَعِدونَ . وَلا بُدَّ أَنَّ ٱلأُمورَ كانَتْ سَتَتَعَقَّدُ عِنْدَما تَسْتَرِدُّ صِحَّتَكَ كامِلةً . »

قالَ جُولْيان : « لِذٰلِكَ قَرَّرا أَنْ يَتَخَلَّصا مِنِّي ؟ »

قالَ مَكْنُوت : « نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلفِكْرَةَ قَدْ راوَدَتْها عِنْدَما ٱكْتَشَفَتْ حُبوبَ ٱلمُورْفينِ ٱلَّتي كانَتْ هارِيت قَدْ خَبَّأَتْها ، وَرَأَتِ ٱلشَّبَهَ بَيْنَ تِلْكَ ٱلحُبوبِ وَٱلحُبوبِ ٱلَّتي كانَتْ تُعْطى لَكَ ، وَأَنَّ مِنَ ٱلسَّهْلِ حُدوثَ خَطَإٍ . وَلٰكِنَّها لَمْ تَجْرُؤْ عَلى ٱلقِيامِ بِالعَمَلِ بِنَفْسِها ، لِأَنَّ ذٰلِكَ كانَ سَيُثيرُ ٱلكَثيرَ مِنَ ٱلتَّساؤلاتِ . »

قالَ جُولْيان : « وَلِهٰذا جاءَتْ بِجيلي ، هٰذا أَمْرٌ فَظيعٌ ! »

« نَعَمْ يا سَيِّدي لَقَدْ كانَتْ في غايَةِ ٱلدَّهاءِ ، فَقَدْ عَثَرَتْ عَلى ٱلفَتاةِ ٱلمُناسِبةِ ، فَتاةٍ صَغيرةٍ بَريئةٍ لَيْسَ لَها أَقارِبُ قَدْ يُثيرونَ ٱلمَتاعِبَ ، فَتاةٍ قِيلَ عَنْها إِنَّها طائِشةٌ ، وَإِنَّها خَليقةٌ بِأَنْ تُخْطِئَ . وَلٰكِنْ هُناكَ شَخْصٌ ما أَخْطَأَ بالنِّسْبةِ لِلصِّينيَّةِ وَٱلفِنْجانَيْنِ . »

قُلْتُ : « وَلٰكِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ . إِنَّني لَمْ أُخْطِئْ في ٱلصِّينيَّةِ . » نَظَرَ إِلَيَّ قائِلًا : « أَ لَمْ يَحْدُثْ ذٰلِكَ ؟ رُبَّما لَمْ تُخْطِئي . لَعَلَّ رُودْكِين هُوَ ٱلَّذي أَخْطَأَ . لَقَدْ قالَ إِنَّ لَدَيْهِ عَمَى أَلْوان . إِنَّ ٱللَّوْنَيْنِ يَبْدُوانِ مُتَقارِبَيْنِ في ٱلضَّوْءِ ٱلكَهْرَبائِيِّ . كانا قَدْ وَضَعا خُطَّةَ ٱلجَريمةِ ، وَلٰكِنَّ ٱلسَّيِّدةَ فِير ٱضْطُرَّتْ لِتَنْفيذِ ٱلخُطَّةِ عَلى ٱلفَوْرِ . وَأَنْتِ ٱلَّتي أَجْبَرْتِها عَلى ذٰلِكَ . »

« عِنْدَما قُلْتُ إِنِّي ذاهِبةٌ ؟ »



« نَعَمْ لَقَدْ كانَ ذٰلِكَ مُفاجَأَةً لَها ، فَقَرَّرَتْ أَنْ تَتَصَرَّفَ عَلى ٱلفَوْرِ : قامَتْ بِفَتْحِ ٱلبابِ بِالمِفْتاحِ ٱلآخَرِ ٱلَّذي كانَتْ قَدْ صَنَعَتْهُ ، وَغَيَّرَتْ أُنْبوبَ ٱلدَّواءِ وَحَرَّكَتِ ٱلمِصْباحَ حَتّى لا يُنيرَ . وَكانَتْ تَنْوي أَنْ تَعودَ بَعْدَ ذٰلِكَ لِتُعيدَ حُبوبَ ٱلسَّيِّدِ فِير حَتّى يَكونَ هُناكَ أُنْبوبَتانِ وَيُقالُ إِنَّكِ قَدْ أَخْطَأْتِ . وَكانَتْ تَنْوي كَذٰلِكَ أَنْ تُعيدَ ٱلمِصْباحَ إِلى وَضْعِهِ ٱلأَصْلِيِّ . وَرُبَّما كانَتْ سَتَقولُ لِلشُّرْطَةِ إِنَّ ٱلأُنْبوبَتَيْنِ كانَتا هُناكَ طَوالَ ٱلوَقْتِ .

وَٱلخَطَأُ ٱلَّذي وَقَعَتْ فيهِ هُوَ أَنَّها أَرادَتْ أَنْ تُظْهِرَ انْعِدامَ صِلَتِها بِٱلمَوْضوعِ عَنْ طَريقِ شُرْبِ فِنْجانِ ٱلقَهْوَةِ . وَلَوْ لَمْ تَفْعَلْ ذٰلِكَ لَكُنْتُ أَقومُ ٱلآنَ بِتَوْجيهِ ٱلِاتِّهامِ إلى ٱلآنِسَةِ بِرايْتُون وَأَقولُ لَها إنَّها تَكْذِبُ . »

« وَلٰكِنِّي أَنا ٱلَّتي قُمْتُ بِذٰلِكَ — أَنا ٱلَّتي قَتَلْتُها . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ مَكْنُوت : « انْتَظِري : لَقَدْ شَكَّ رُوذْكِين في أَنْ يَكونوا قَدْ دَبَّروا شَيْئًا مِنْ هٰذا ٱلقَبيلِ ، وَلا بُدَّ أَنَّ ٱنْقِطاعَ ٱلنُّورِ قَدْ جَعَلَهُ يُفَكِّرُ . وَرَأَى ٱلفِنْجانَيْنِ في ٱنْتِظارِ مَنْ يَحْمِلُهُما ، فَواتَتْهُ فِكْرَةُ تَبْديلِهِما . فَإِذا كانَ ظَنُّهُ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَلَنْ يَنْجُمَ عَنْ ذٰلِكَ أَيُّ ضَرَرٍ ، بَلْ سَتَكونُ ٱلسَّيِّدَةُ فِير قَدْ أَخَذَتْ دَواءً لا ضَرَرَ مِنْهُ ، وسَوْفَ يُهَدِّئُ مِنْ نَفْسِها بَعْدَ شِجارِها مَعَكِ . وَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ فَعَلَ ذٰلِكَ ، لِأَنَّهُ لَنْ يُخْبِرَ بِهِ أَحَدًا . »

سادَ ٱلصَّمْتُ فَتْرةً طَويلةً بَعْدَ ذَهابِ مَكْنُوت . وَكُنْتُ أَنا وَجُولْيان جالِسَيْنِ بِجِوارِ ٱلمِدْفَأَةِ . وَأَخيرًا قُلْتُ : « سَوْفَ أَعودُ إلى غُرْفَتي في لَنْدَن . »

نَظَرَ جُولْيان إلَيَّ ، وَرَكَّزَ عَيْنَيْهِ علي عَيْنَيَّ وَهُوَ يَسْأَلُني : « مَتَى تَعُودِينَ يا جِيلي ؟ »

المُحامي ٱلغائبُ
تأْليف تشارْلِز دِيكِنْز

اسْمي سامْسُون ، وَأَعْمَلُ في ٱلتَّأْمينِ عَلى ٱلحَياةِ . لِغُرْفتي نافِذَةٌ مَفْتوحةٌ عَلى ٱلغُرْفةِ ٱلمُجاوِرةِ ، حَيْثُ يَعْمَلُ زُمَلائِي ٱلكَتَبَةُ ٱلآخَرُونَ وَرَئيسُنا ٱلسَّيِّدُ آدامْز . وَعِنْدَما نَظَرْتُ خِلالَ تِلْكَ ٱلنّافِذةِ رَأَيْتُ ٱلسَّيِّدَ سْلِينْكتُون .

لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهُ عِنْدَما دَخَلَ ، وَكانَ مُنْحَنيًا لِيأْخُذَ بَعْضَ ٱلأَوْراقِ مِنْ أَحَدِ ٱلكَتَبةِ ، وَقَدْ وَضَعَ قُبَّعَتَهُ عَلى ٱلمائدةِ . إنَّهُ يَبْلُغُ ٱلأَرْبَعينَ مِنَ ٱلعُمْرِ ، وَيَميلُ إلى ٱلسُّمْرةِ وَيَتَأَنَّقُ في مَلْبَسِهِ . وَكانَ يَوْمَئِذٍ يَرْتَدي حُلَّةً سَوْداءَ ، حِدادًا عَلى وَفاةِ أَحَدِ أَقارِبِهِ . وَكانَ شَعْرُهُ مَفْروقًا عِنْدَ مُنْتَصَفِ ٱلرَّأْسِ ، وَقَدْ بَدا هٰذا ٱلفَرْقُ واضِحًا وَهُوَ مُنْحَنٍ .

في تِلْكَ ٱللَّحْظةِ ٱنْتابَني شُعورٌ بالكَراهِيةِ نَحْوَ ٱلرَّجُلِ ، وَشَعَرْتُ بِأَنَّهُ مُخادِعٌ . إنَّ ٱلنّاسَ يَقولونَ إنَّ ٱلشَّخْصَ ٱلمُخادِعَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَنْظُرَ إلى وَجْهِكَ ، وَلٰكِنَّ هٰذا ٱلقَوْلَ خاطِئٌ . ذٰلِكَ أَنَّ في وُسْعِ ٱلشَّخْصِ ٱلمُخادِعِ أَنْ يَنْظُرَ في عَيْنَيِ ٱلرَّجُلِ ٱلشَّريفِ ، وَيَتَحَدّاهُ وَيَنْتَصِرَ عَلَيْهِ .

لَقَدْ عَرَفَ أَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَوَجَّهَ رَأْسَهُ نَحْوِي وَكَأَنَّما يُحَذِّرُني أَلَّا أُضايِقَهُ ، وَأَنْ أَدَعَهُ يَفْعَلُ ما يُريدُ .

نادَيْتُ آدامْز وَسَأَلْتُهُ : « مَنْ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ ؟ » فَأَراني بِطاقَتَهُ ، وَكانَ مَكْتوبًا عَلَيْها :

السَّيِّدُ جولْياس سْلِينْكْتُون

مَبْنَى مِيدِل تِمْبِل

كانَ مَبْنى مِيدِل تِمْبِل مَكانًا يَسْكُنُ فيهِ ٱلكَثيرونَ مِنَ ٱلمُحامينَ ، وَبِهِ أَيْضًا مَكاتِبُهُمْ .



سَأَلْتُ : « هَلْ هُوَ مُحامٍ ؟ »

« لا أَعْتَقِدُ ذٰلِكَ يا سَيِّدي . لَقَدْ طَلَبَ ٱسْتِمارةَ تَقْديمِ طَلَبٍ لِلتَّأْمينِ عَلى ٱلحَياةِ . لَقَدْ كانَ في غايةِ ٱلأَدَبِ ، بَلْ مُسْرِفًا في تَأَدُّبِهِ وَحُسْنِ سُلوكِهِ . »

ذَهَبْتُ بَعْدَ أَيّامٍ قَليلةٍ لِحُضورِ حَفْلٍ في بَيْتِ ٱلسَّيِّدِ رَسْتُون ، وهُوَ مِنَ ٱلأَثْرِياءِ ٱلَّذينَ يَتَّجِرونَ في ٱلصُّوَرِ وَٱلكُتُبِ . وَقابَلْتُ في ٱلحَفْلِ ٱلسَّيِّدَ سْلِيْنكتُون ، وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ مِنْ رَسْتُون أَنْ يُقَدِّمَهُ إِلَيَّ .

قالَ سْلِيْنكتُون : « أَنا سَعيدٌ جِدًّا بِلِقائِكَ . لَقَدْ رَأَيْتُكَ مِنَ ٱلنّافِذةِ داخِلَ غُرْفَتِكَ ، وَلٰكِنْ لَمْ أُرِدْ أَنْ أُزْعِجَكَ . »

« هَلْ تُفكِّرُ في ٱلتَّأْمينِ عَلى حَياتِكَ ؟ »

« لا ! إِنَّما كُنْتُ أَسْأَلُ عَنْ بَعْضِ ٱلمَعْلوماتِ مِنْ أَجْلِ صَديقٍ . وَلَمْ أُرِدْ أَنْ أَشْغَلَ وَقْتَ شَخْصٍ كَثيرِ ٱلأَعْمالِ مِثْلِكَ بِٱسْتِفْساراتٍ قَدْ لا يَكونُ مِنْ وَرائِها طائِلٌ . »

أَوْشَكْتُ أَنْ أُجيبَ بِرَدٍّ ما عِنْدَما ٱسْتَدارَ وَوَجَّهَ رَأْسَهُ نَحْوي وَقالَ : « لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ إِحْدى شَرِكاتِ ٱلتَّأْمينِ ٱلأُخْرى قَدْ لَحِقَتْ بِها مُؤَخَّرًا خَسارةٌ كَبيرةٌ . »

سَأَلْتُ: « خَسارةٌ ماليَّةٌ ؟ »

« لا ، لَقَدْ خَسِرَتْ رَجُلًا في غايَةِ ٱلكَفاءَةِ وَٱلنَّشاطِ . »

« آهٍ ! هَلْ حاقَتْ بِها خَسارةٌ مِنْ هٰذا ٱلنَّوْعِ ؟ »

« أَجَلْ ، إنَّهُ ٱلسَّيِّدُ مِلْتام . »

« أَ هُوَ ٱلمُحامي ٱلشّابُّ في ٱلشَّرِكةِ ٱلمَلَكيَّةِ لِلتَّأْمينِ ؟ »

قالَ : « إنَّهُ هُوَ ! »

كُنْتُ مُعْجِبًا بِمِلْتام إعْجابًا شَديدًا وَيَبْدو أَنَّ سْلِينْكتُون كانَ يُوشِكُ أَنْ يَقولَ شَيْئًا عَنْهُ ، فَسَأَلْتُهُ : « هَلْ تَعْرِفُهُ يا سَيِّدُ سْلِينْكتُون ؟ »

« لا ، لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْهُ فَقَطْ . لَقَدْ كانَ في حَوالَى ٱلثَّلاثينَ مِنَ ٱلعُمْرِ ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « بَلى ، حَوالَى ٱلثَّلاثينَ . »

« إنَّهُ لَأَمْرٌ مُحْزِنٌ أَنْ يَبْتَعِدَ ٱلشَّخْصُ عَنِ ٱلنّاسِ في مِثْلِ هٰذِهِ ٱلسِّنِّ ، وَلا يَكونَ قادِرًا عَلى ٱلعَمَلِ . لَقَدْ قِيلَ لي إنَّهُ ٱخْتَفى وَلا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَيْنَ هُوَ . أَ ثَمَّةَ سَبَبٌ لِٱخْتِفائِهِ ؟ »

نَظَرْتُ إلَيْهِ وَقُلْتُ لِنَفْسي : « لا ! لَنْ أَجْعَلَهُ يَجُرُّني إلى حَيْثُ يُريدُ . »

ثُمَّ سَأَلْتُهُ : « ماذا سَمِعْتَ يا سَيِّدُ سْلِينْكتُون عَنْ سَبَبِ ٱختِفائِهِ ؟ »

أَجابَ : « مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ يَكونَ سَبَبًا غَيْرَ صَحيحٍ ـــ لَقَدْ قِيلَ لي إِنَّ ٱلسَّيِّدَ مِلْتام تَخَلَّى عَنْ كُلِّ أَعْمالِهِ وَٱهْتِماماتِهِ ، لِأَنَّهُ صُدِمَ في حُبِّهِ . لَقَدْ أَحَبَّ وَفَقَدَ مَحْبوبَتَهُ . »

« كَيْفَ فَقَدَها ؟ هَلْ ماتَتْ ؟ »

« لا أَعْرِفُ ! إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُحْزِنٌ ، مُحْزِنٌ لِلْغايَةِ . » وَشَعَرْتُ بِأَنَّ أَسَفَهُ لَمْ يَكُنْ صادِقًا .

قالَ : « رُبَّما أَدْهَشَكَ يا سَيِّدُ سامْسُون أَنْ تَراني أَشْعُرُ بِٱلأَسَفِ ٱلشَّديدِ نَحْوَ شَخْصٍ لَمْ تَسْبِقْ لي مَعْرِفَتُهُ . وَلٰكِنِّي عانَيْتُ أَخيرًا مِنْ وَفاةِ شَخْصٍ أُعِزُّهُ : فَلي ٱبْنَتا أَخٍ أُحِبُّهُما ، وَكانَتا أَقْرَبَ ٱلنَّاسِ إِلَيَّ . وَلٰكِنْ ماتَتْ إِحْداهُما وَهِيَ في ٱلعِشْرينَ ، وَٱلأُخْرى ضَعيفَةٌ لِلْغايَةِ . »

دَخَلْنا لِتَناوُلِ ٱلعَشاءِ . اِسْتَمَعْتُ إِلى حَديثِهِ ، وَلاحَظْتُ مَهارَتَهُ في ٱجْتِذابِ ٱلنَّاسِ نَحْوَهُ ، وَكَيْفَ كانَ يَبْدَأُ مَعَهُمُ ٱلحَديثَ في ٱلمَوْضوعاتِ ٱلَّتي يُحْسِنونَ ٱلتَّحَدُّثَ فيها ، وَيَسْأَلُهُمُ ٱلأَسْئِلَةَ حَوْلَ تِلْكَ ٱلمَوْضوعاتِ ، وَيُظْهِرُ شَغَفَهُ بِالمَعْرِفَةِ . وَكانَ سُلوكُهُ هٰذا يَزيدُ مِنْ كَراهِيَتي لَهُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ .

أَعْرِفُ أَنَّ حَياتي وَطَبيعَةَ عَمَلي جَعَلَتاني بارِدَ ٱلطَّبْعِ ، كَثيرَ ٱلشَّكِّ في



ٱلنَّاسِ ، مِمَّا أَفْقَدَني ٱلعَديدَ مِنَ ٱلأَصْدِقاءِ . وَساءَلْتُ نَفْسي : لِماذا أَكْرَهُ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ ؟ أَ لِأَنَّهُ يُصَفِّفُ شَعْرَهُ وَيَفْرُقُهُ في مُنْتَصَفِ رَأْسِهِ ؟ لِماذا ؟ إنَّ هٰذا سَبَبٌ غَيْرُ مَعْقولٍ .

جاءَ سْلِينْكْتُون إلى مَكْتَبي في ٱليَوْمِ ٱلتَّالي . قالَ : « طابَ يَوْمُكَ يا سَيِّدُ سامْسُون . لَقَدْ جِئْتُ لِأَسْأَلَ هَلْ عَمِلَ صَديقي شَيْئًا ما بِالنِّسْبَةِ لِطَلَبِ ٱلتَّأْمينِ عَلى ٱلحَياةِ . إنَّهُ غالِبًا ما يَكونُ بَطيئًا في إنْجازِ أَعْمالِهِ . مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَلَّا يَكونَ قَدْ فَعَلَ شَيْئًا . لَقَدْ وَعَدْتُ والِدَتَهُ في نُورْفُوك أَنْ أَهْتَمَّ بِٱلأَمْرِ . »

كُنْتُ قَدِ ٱسْتَقْبَلْتُ زائِرًا في بَيْتي جاءَ إلى غُرْفَةِ نَوْمي قَبْلَ أَنْ تُشْرِقَ ٱلشَّمْسُ ، وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ غَيْرُ خادِمي ٱلأَمينِ.وَكانَتْ زِيارَةُ سْلِينْكْتُون لِمَكْتَبي في ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْ صَباحِ ٱليَوْمِ نَفْسِهِ .

قالَ : « إنَّ صَديقي أَخْبَرَني أَنَّهُ أَرْسَلَ طَلَبًا لِلتَّأْمينِ عَلى حَياتِهِ . وَقَدْ أَكَّدَ لي ذٰلِكَ ، وَلٰكِنْ رُبَّما كانَ قَوْلُهُ هٰذا مُجَرَّدَ ذَريعةٍ جَديدةٍ لِتَأْجيلِ ٱلمَوْضوعِ . »

« ما ٱسْمُ صَديقِكَ ؟ »

« بِكُوث . »

سَأَلْتُ آدامْز قائِلًا : « هَلْ تَسَلَّمْتَ طَلَبًا مِنَ ٱلسَّيِّدِ بِكُوث ؟ »

أَجابَ : « نَعَمْ ، لَقَدْ جاءَ ٱلطَّلَبُ في بَريدِ هٰذا ٱلصَّباحِ . إنَّهُ طَلَبٌ لِلتَّأْمينِ بِمَبْلَغٍ مِقْدارُهُ ثَلاثةُ آلافِ جُنَيْهٍ ، بِتاريخِ أَمْسِ . » ثُمَّ وَضَعَ ٱلخِطابَ عَلى مَكْتَبي .

« أُلاحِظُ أَنَّ ٱلخِطابَ قَدْ جاءَ مِنْ مَبْنى مِيدِل تِمْپِل يا سَيِّدُ سْلِينْكتُون . »

« نَعَمْ ، إنَّ بابَ غُرْفَتِهِ يُواجِهُ بابي . »

ثُمَّ نَظَرَ إلى ٱلطَّلَبِ وَقالَ : « أُلاحِظُ أَنَّهُ ذَكَرَ ٱسْمي كَأَحَدِ ٱلمُعَرِّفينَ ، أَيْ كَشَخْصٍ يَشْهَدُ بِحُسْنِ سُلوكِهِ . نَعَمْ ، في وُسْعي أَنْ أَشْهَدَ بِذٰلِكَ . أَعْطِني قَلَمًا مِنْ فَضْلِكَ . »

جَلَسَ في مَقْعَدي وَبَدَأَ يَمْلَأُ ٱلبَياناتِ : « مُنْذُ مَتى أَعْرِفُ ٱلسَّيِّدَ

بِكْوِث ؟ نَعَمْ ... ماهُوَ أُسْلوبُ حَياتِهِ ؟ إِنَّهُ قَليلُ ٱلتَّفْكيرِ . رُبَّما يَقومُ بالكَثيرِ مِنَ ٱلتَّمْريناتِ ٱلرِّياضيَّةِ ، وَٱلمَشْيِ لِمَسافاتٍ طَويلَةٍ ، وَما إلى ذٰلِكَ ... » وَمَلَأَ ٱلبَياناتِ وَوَقَّعَ عَلَيْها .

وَجاءَتْنا شَهادَةُ تَعْريفٍ أُخرى مِنْ نُورْفُوك ، فَقَبِلْنا ٱلطَّلَبَ وَدُفِعَ في شَهْرِ مارِس (آذار) قِسْطُ ٱلتَّأْمينِ لِمُدَّةِ سَنَةٍ .

مَرَّتْ عِدَّةُ أَشْهُرٍ دُونَ أَنْ أَرى ٱلسَّيِّدَ سْلِينْكتُون . وَفي شَهْرِ سِبتَمْبِر (أَيْلولَ) قُلْتُ لِآدامْز : « أَرى أَنْ آخُذَ إجازَةً لِعِدَّةِ أَيَّامٍ أَقْضيها عَلى شاطِئِ ٱلبَحْرِ . سَوْفَ أَذْهَبُ إلى سْكارْبُورُو . »

ذَهَبْتُ أَتَمَشّى عَلى شاطِئِ ٱلبَحْرِ في صَباحِ أَوَّلِ أَيَّامِ ٱلإِجازَةِ ، وَهُناكَ قابَلْتُ سْلِينْكتُون . وَكانَتْ بِجِوارِهِ فَتاةٌ شابَّةٌ جَميلَةٌ لِلْغايَةِ تُمْسِكُ بِذِراعِهِ ، وَلٰكِنْ كانَتْ تَبْدُو عَلَيْها مَلامِحُ ٱلمَرَضِ وَٱلحُزْنِ .

أَقْبَلَ سْلِينْكتُون نَحْوي ، وَقالَ : « هٰذِهِ ٱبْنَةُ أَخي ٱلآنِسةُ مارْغَريت نايْنَر . هَلْ تَتَمَشّى ؟ تَفَضَّلْ وَٱمْشِ مَعَنا . »

سِرْنا عَلى ٱلرَّمْلِ . نَظَرَ سْلِينْكتُون إلى ٱلرَّمْلِ وَقالَ : « مَرَّتْ عَجَلاتٌ بِهٰذا ٱلمَكانِ . هٰذِهِ آثارُ كُرْسِيٍّ ذي عَجَلاتٍ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي يَسْتَخْدِمُهُ ٱلمَرْضى . لَيْسَ مِنْ شَكٍّ في أَنَّهُ ظِلُّكِ يا مارْغَريت . أَخْبِري ٱلسَّيِّدَ سامْسُون . »

« لَيْسَ هُناكَ ما أَقولُهُ غَيْرَ أَنِّي غالِبًا ما أَرى رَجُلًا مَريضًا يَجْلِسُ في كُرْسِيٍّ مُتَحَرِّكٍ ، وَيَقولُ عَمّي عَنْهُ إِنَّهُ يَتْبَعُني كَظِلّي . قَدْ تَمُرُّ أَيّامٌ دونَ أَنْ أَراهُ ، وَلٰكِنَّهُ يَقومُ في بَعْضِ ٱلأَيّامِ ٱلأُخْرى بالسَّيْرِ وَرائي حَيْثُما سِرْتُ . لَقَدْ كُنْتُ أَراهُ في أَنْحاءِ ٱلشّاطِئِ ٱلهادِئَةِ ٱلَّتي لا يَغْشاها أَحَدٌ . »

« هَلْ هٰذا هُوَ ٱلرَّجُلُ ؟ » وَأَشَرْتُ بِيَدي .

كانَتِ ٱلعَجَلاتُ قَدْ أَحْدَثَتْ نِصْفَ دائِرَةٍ في ٱلرَّمْلِ . وَرَأَيْتُ كُرْسِيًّا ذا عَجَلاتٍ يَدْفَعُهُ رَجُلٌ ذو شَعْرٍ رَماديٍّ وَرِجْلَيْنِ قَصيرَتَيْنِ . وَكانَ ٱلكُرْسِيُّ مُتَّجِهًا نَحْوَنا ، وَعَلَيْهِ رَجُلٌ مُسِنٌّ يَميلُ بِرَأْسِهِ عَلى صَدْرِهِ ، مِمّا جَعَلَنا لا نَرى وَجْهَهُ .

وَبَعْدَ أَنْ مَرّا بِنا سارا لِفَتْرَةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ ٱلكُرْسِيُّ ، وَرَأَيْتُ ٱلرَّجُلَ ٱلمُسِنَّ يُشيرُ بِيَدِهِ وَيُنادي بِٱسْمي . فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ وَغِبْتُ عَنْ سْلِينْكتُون وَٱبْنَةِ أَخيهِ لِخَمْسِ دَقائِقَ .

وَعِنْدَما عُدْتُ إِلَيْهِما قالَ سْلِينْكتُون : « إِنَّ ٱبْنَةَ أَخي تَتَحَرَّقُ شَوْقًا لِمَعْرِفَةِ مَنْ ظِلُّها هٰذا . »

« إِنَّهُ صَديقُ ٱلسَّيِّدِ رَسْتُون ٱلَّذي قابَلْتُكَ في بَيْتِهِ . وَٱسْمُهُ كابْتِن بانْكس ، هَلْ سَمِعْتَ بِهِ ؟ »

« لا . »

« إنَّهُ في غايةِ ٱلثَّراءِ يا آنسةُ نايْتر ، وَلٰكِنَّهُ طاعِنٌ في ٱلسِّنِّ لِلْغايةِ ، وَلا يَسْتَطيعُ ٱلمَشْيَ وَهُوَ مُهْتَمٌّ كَثيرًا بِكِ ، وَقَدْ قالَ لي إنَّهُ مُعْجَبٌ بِمَدى ٱلمَحَبَّةِ ٱلَّتي تَرْبُطُ بَيْنَكِ وَبَيْنَ عَمِّكِ . »

قالَ سْلِينْكتُون : « نَعَمْ يا سَيِّدُ سامْسُون ، لَقَدْ كانَ حُبُّ كُلٍّ مِنَّا لِلآخَرِ قَوِيًّا عَلى ٱلدَّوامِ ، فَلَيْسَ لَنا إلَّا ٱلقَليلُ مِنَ ٱلأَقارِبِ ٱلأَقْرَبينَ ، وَقَدْ قَلَّ عَدَدُهُمْ . كَما أَنَّ وَفاةَ إلِين ــ أُخْتِ مارْغَريت ــ قَدْ زادَتِ ٱرْتِباطَ بَعْضِنا وَسَوْفَ أَتْرُكُهُ أَنا في ٱلقَريبِ ٱلعاجِلِ ؛ فَأَنا أَعْرِفُ أَنَّ حَياتي تَقْتَرِبُ مِنْ نِهايَتِها . وَآمُلُ بَعْدَ أَنْ أَذْهَبَ أَنْ يَتَزَوَّجَ وَيَسْعَدَ . لَقَدْ عاشَ دُونَ زَواجٍ طَوالَ هٰذِهِ ٱلمُدَّةِ مِنْ أَجْلي .وَمِنْ أَجْلِ أُخْتي ٱلمِسْكينةِ . »

كانَ ٱلكُرْسِيُّ ٱلمُتَحَرِّكُ قَدِ ٱسْتَدارَ وَبَدَأَ يَتَّجِهُ نَحْوَنا . قُلْتُ لِمارْغَريت وَيَدي عَلى ذِراعِها : « إنَّكِ تَرَيْنَ هُدوءَ ٱلبَحْرِ وَوَداعَتَهُ ٱلآنَ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ يَنْقَلِبُ خِلالَ ٱلمَساءِ وَيُصْبِحُ عَنيفًا هائِجًا . »

« نَعَمْ . »

« إذا كُنْتِ لَمْ تَرَيْ أَوْ تَسْمَعي بِقَسْوَتِهِ ، فَهَلْ تُصَدِّقينَ أَنَّهُ يُحَطِّمُ كُلَّ بَعْضٍ . كُفِّي ، كُفِّي يا مارْغَريت ! لا تَبْكي ! حاوِلي أَنْ تَنْسَيْ أَحْزانَكِ . »

ذَهَبَ سْلِينْكتُون لِيَسْتَحِمَّ في ٱلبَحْرِ ، وَتَرَكَنا جالِسَيْنِ عَلى صَخْرةٍ بِالشَّاطِئِ . وَرُبَّما كانَ يَتَوَقَّعُ مِنها أَنْ تُثْنِيَ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِها وَٱلحَقيقةُ أَنَّ هٰذا هُوَ ما حَدَثَ . يا لَها مِنْ مِسْكينةٍ !

قالَتْ : « لَقَدِ ٱهْتَمَّ ٱهْتِمامًا بالِغًا بِأُخْتي ٱلعَزيزةِ أَثْناءَ مَرَضِها ٱلأَخيرِ . لَقَدِ ٱزْدادَ ضَعْفُها أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ، وَعِنْدَما ٱقْتَرَبَتْ نِهايَتُها كانَتْ لَدَيْها أَفْكارٌ جامِحةٌ وَمُخيفةٌ . وَلٰكِنَّهُ كانَ يَتَّسِمُ دائمًا بِالصَّبْرِ وَٱليَقَظةِ وَٱلهُدوءِ .



شَيْءٍ في طَرِيقِهِ تَحْطيمًا ؟ هَلْ تُصَدِّقينَ أَنَّهُ يُدَمِّرُ ٱلحَياةَ دُونَ رَحْمةٍ أَوْ شَفَقةٍ ؟ »

نَظَرَتْ إِلَيَّ وَقالَتْ : « لِماذا تُحاوِلُ أَنْ تُخيفَني بِهٰذِهِ ٱلأَسْئلةِ ؟ »

« كَيْ أُنْقِذَكِ . إِنَّكِ في خَطَرٍ . إِنَّ ٱلخَطَرَ ٱلَّذي يُواجِهُكِ ، أَشَدُّ مِمَّا لَوْ كُنْتِ واقِفةً هُنا وَحْدَكِ وَقَدْ أَحاطَتْ بِكِ حَرَكةُ ٱلمَدِّ وَٱرْتَفَعَ ٱلماءُ إِلى أَعْلى مِنْ قامَتِكِ . »

أَصْبَحَ ٱلكُرْسِيُّ ٱلمُتَحَرِّكُ قَريبًا جِدًّا مِنَّا .

« أَرْجُوكِ يا آنِسةُ نايْنَر أَنْ تَأْتِيَ مَعي إِلى هٰذا ٱلرَّجُلِ ٱلفاضِلِ . » وَتَرَكْتُها مَعَهُ .

مَرَّتْ بِضْعُ دَقائِق ، ثُمَّ ٱسْتَدَرْتُ وَرَأَيْتُها تَصْعَدُ بَعْضَ دَرَجاتٍ في ٱلصَّخْرِ بِمُساعَدةِ رَجُلٍ نَشيطٍ . إِنَّها بِجانِبِهِ آمِنةٌ أَيْنَما كانَتْ .

جَلَسْتُ عَلى ٱلصَّخْرِ وَكانَ ٱلمَساءُ قَدِ ٱقْتَرَبَ عِنْدَما عادَ سْلِينْكْتُون .

« أَ لَيْسَتِ ٱبْنةُ أَخي هُنا ؟ »

« نَعَمْ ! لَقَدْ شَعَرَتْ بِٱلبَرْدِ عِنْدَما غَرَبَتِ ٱلشَّمْسُ ، فَعادَتْ إِلى ٱلبَيْتِ . »

بَدا عَلَيْهِ ٱلتَّعَجُّبُ كَما لَوْ كانَتْ غَيْرَ مُعْتادةٍ عَلى ٱلقِيامِ بِأَيِّ عَمَلٍ بِدُونِ ٱلاعْتِمادِ عَلَيْهِ .

مَشَيْنا جَنْبًا إلى جَنْبٍ فَوْقَ ٱلرَّمْلِ في صَمْتٍ ، وَأَخيرًا سَأَلَني قائِلًا :
« هَلْ سَتَبْقى هُنا مُدَّةً طَويلةً يا سَيِّدُ سامْسُون ؟ »

أَجَبْتُهُ : « لا ، سَوْفَ أَعودُ إلى لَنْدَن ٱللَّيْلَةَ . »

« سَوْفَ أَذْهَبُ إلَيْها كَذٰلِكَ بَعْدَكَ . »

كُنْتُ أَعْرِفُ ذٰلِكَ وَلٰكِنّي لَمْ أُخْبِرْهُ . كانَ طَريقُنا يَمْتَدُّ فَوْقَ حائِطٍ صَخْرِيٍّ تَتَكَسَّرُ أَمْواجُ ٱلبَحْرِ تَحْتَهُ . وَلَمْ أَسِرْ ناحِيَةَ ٱلبَحْرِ في ذٰلِكَ ٱلمَمَرِّ وَقَدِ ٱقْتَرَبَ ٱلمَساءُ ، بَلْ فَضَّلْتُ أَنْ أَسيرَ بَعيدًا عَنْ حافَةِ ٱلصَّخْرِ ٱلَّذي يَنْحَدِرُ ٱنْحِدارًا شَديدًا نَحْوَ ٱلبَحْرِ .

اِفْتَرَقْنا بَعْدَ أَنْ حَيّا كُلٌّ مِنّا ٱلآخَرَ تَحِيَّةَ ٱلمَساءِ ، وَلٰكِنَّهُ رَجَعَ وَسَأَلَني :
« هَلْ تَذْكُرُ مِلْتام ٱلمِسْكينَ ٱلَّذي سَبَقَ أَنْ تَحَدَّثْنا عَنْهُ ؟ هَلْ ماتَ ؟ »

« لَمْ أَسْمَعْ أَنَّهُ ماتَ ، وَلٰكِنْ رُبَّما كانَتْ صَدْمَتُهُ مِنَ ٱلعُنْفِ بِحَيْثُ إنَّهُ لَنْ يَعيشَ طَويلًا . لَقَدِ ٱخْتَفى عَنْ عالَمِهِ ٱلقَديمِ بِصُورَةٍ مَيْئوسٍ مِنْها . »

قالَ : « إنَّهُ لَأَمْرٌ مُؤْلِمٌ ، مُؤْلِمٌ ، مُؤْلِمٌ ! إنَّ ٱلعالَمَ لَيْسَ إلّا مَقْبَرَةً . »
ثُمَّ مَضى يَقولُ : « وَلٰكِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ آسِفٌ لِأَنَّهُ لم يَسْتَطِعْ أَنْ يَجْعَلَ ٱلعالَمَ مَقْبَرَةً . »

قابَلْتُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ في أَواخِرِ شَهْرِ نُوفَمْبر (تِشْرينَ ٱلثّاني) كُنْتُ قَدْ

تَلَقَّيْتُ دَعْوةً لِتَناوُلِ ٱلإِفْطارِ في مَبْنى تِمْبِل ، وَكانَ ٱلصَّباحُ بارِدًا لِلْغايَةِ ، وَٱلجَليدُ مُتَراكِمًا في ٱلشَّوارِعِ . وَكانَ عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلى آخِرِ طابَقٍ في ذٰلِكَ ٱلمَنْزِلِ ٱلَّذي يَقِفُ وَحيدًا مُطِلًّا عَلى ٱلنَّهْرِ .

عِنْدَما وَصَلْتُ رَأَيْتُ ٱسْمَ « أَلْفريد بِكْوِث » مَكْتوبًا عَلى ٱلبابِ . وَفي مُواجَهَةِ هٰذا ٱلبابِ رَأَيْتُ بابًا آخَرَ عَلَيْهِ ٱسْمُ « جُولْيَاس سْلِينْكتُون » . وَكانَ ٱلبابانِ مَفْتُوحَيْنِ ، بِحَيْثُ يَسْتَطيعُ أَيُّ شَخْصٍ في إِحْدى ٱلغُرْفَتَيْنِ أَنْ يَسْمَعَ ما يَدورُ في ٱلغُرْفَةِ ٱلمُواجِهَةِ لَها عَبْرَ ٱلمَمَرِّ .

دَخَلْتُ غُرْفَةَ بِكْوِث . كانَتْ في حالَةِ فَوْضى شَديدَةٍ : فَٱلأَثاثُ ٱلَّذي كانَ جَميلًا قَدْ أَصْبَحَ ٱلآنَ مُكَسَّرًا وَمُتَّسِخًا . وَكانَتْ بِالغُرْفَةِ رائِحَةٌ كَريهَةٌ وَهُناكَ رَجُلٌ يَرْقُدُ عَلى كَنَبَةٍ بِجِوارِ ٱلمِدْفَأَةِ وَهُوَ في حالَةِ إِعْياءٍ شَديدٍ .

قالَ وَهُوَ يُحاوِلُ ٱلوُقوفَ : « إِنَّ سْلِينْكتُون لَمْ يَأْتِ بَعْدُ . سَوْفَ أُناديهِ ... مَرْحَبًا بِكَ ! يا جُولْيَاس ، تَعالَ وَٱجْلِسْ مَعَنا . »

جاءَ سْلِينْكتُون ــ وَلَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَراني ، وَعِنْدَما رَآني ظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَلامِحُ ٱلدَّهْشَةِ وَٱلخَوْفِ بِصُورَةٍ لَمْ أَرَ مَثيلًا لَها مِنْ قَبْلُ .

قالَ بِكْوِث : « أُقَدِّمُ لَكَ ٱلسَّيِّدَ سامْسُون يا جُولْيَاس . إِنَّهُ مِنْ أَقْرَبِ أَصْدِقائي . إِنَّ جُولْيَاس يُمِدُّني يا سَيِّدُ سامْسُون بالسَّجائِرِ طَوالَ ٱليَوْمِ في

ٱلصَّباحِ وَٱلظُّهْرِ وَٱلمَساءِ . وَكُنْتُ قَدِ ٱعْتَدْتُ شُرْبَ ٱلشّاي وَٱلقَهْوةِ وَلٰكِنَّهُ أَوْقَفَ ذٰلِكَ . تَعالَ يا جُولْيَاس وَأَشْعِلْ لي سِيجارةً . »

اِلْتَقطَ بِكْوِث وِعاءً مَعْدِنيًّا وَحاوَلَ أَنْ يُناوِلَهُ لِسْلِينْكتُون . وَأَخَذَ يُلَوِّحُ بِهِ في ٱلهَواءِ بِعُنْفٍ شَديدٍ حَتَّى إِنَّني خَشيتُ أَنْ يُصيبَ بِهِ رَأْسَ سْلِينْكتُون ، فَمَدَدْتُ يَدي لِأَمْنَعَهُ ، فَوَقَعَ عَلى ٱلكَنَبةِ .

قالَ سْلِينْكتُون : « شُكْرًا لَكَ يا سَيِّدُ سامْسُون لِحِمايَتي مِنْ هٰذا ٱلرَّجُلِ ٱلخَطِرِ . وَلٰكِنِّي لا أَفْهَمُ كَيْفَ جِئْتَ ؟ وَلِماذا أَتَيْتَ ؟ »

لَمْ أُخْبِرْهُ شَيْئًا ، وَلٰكِنِّي سَأَلْتُهُ بِهُدوءٍ : « كَيْفَ حالُ ٱبنةِ أَخيكَ يا سَيِّدُ سْلِينْكتُون ؟ »

نَظَرَ إِلَيَّ بِصَرامةٍ وَقالَ : « يُؤْسِفُني أَنْ أَقولَ يا سَيِّدُ سامْسُون إِنَّ ٱبْنةَ أَخي لَمْ تَكُنْ وَفيَّةً لي — أَنا أَقْرَبِ أَصْدِقائِها — فَقَدْ تَرَكَتْني دُونَ أَيِّ تَفْسيرٍ لِما فَعَلَتْهُ . لَقَدْ دَفَعَها شَخْصٌ شِرِّيرٌ إلى أَنْ تَلْحَقَ بِهِ ، وَهُوَ يُزْمِعُ أَنْ يُلْحِقَ ٱلضَّرَرَ بِها . رُبَّما سَمِعْتَ بِقِصَّتِها . »

قُلْتُ : « نَعَمْ ، لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ شَخْصًا قَدْ أَبْعَدَها عَنْكَ . وَٱلحَقيقةُ إِنَّ لَدَيَّ ما يُثْبِتُ ذٰلِكَ . »

أَخَذَ سْلِينْكتُون يَنْظُرُ إلى بِكْوِث ثُمَّ إِلَيَّ وَقالَ : « سَوْفَ أَتَحَدَّثُ بِكُلِّ

صَراحةٍ يا سَيِّدُ سامْسُون . إنَّكَ تُريدُ أَنْ تُحافِظَ عَلى نُقودِ شَرِكةِ ٱلتَّأْمين ٱلَّتي تَعْمَلُ فيها ، وَلٰكِنَّكَ لَنْ تَنْجَحَ في ذٰلِكَ.. أَنا لَسْتُ بِالشَّخْصِ ٱلسَّهْلِ ٱلَّذي يُمْكِنُ ٱلتَّغَلُّبُ عَلَيْهِ . طِبْتَ صَباحًا ، وَإلى ٱللِّقاءِ . »

عِنْدَما كانَ يَتَحَدَّثُ كانَ بِكوت يَمْلَأُ كوبًا كَبيرًا بِالشَّاي . وَما لَبِثَ أَنْ أَلْقى ٱلشَّايَ في وَجْهِ سْلِيْنكتُون وَأَتْبَعَهُ بِالكوبِ كَذٰلِكَ . فَرَفَعَ سْلِيْنكتُون يَدَيْهِ لِيَقِيَ عَيْنَيْهِ ٱللَّتَيْنِ أَصابَهُما ٱلشَّايُ وَوَجْهَهُ ٱلَّذي أَصابَهُ ٱلكوبُ .

وَفي تِلْكَ ٱلأَثْناءِ ، دَخَلَ ٱلغُرْفَةَ شَخْصٌ رابعٌ وَأَقْفَلَ ٱلبابَ وَراءَهُ ثُمَّ



وَقَف . لَقَدْ كانَ ذا شَعْرٍ رَماديٍّ وَساقَيْنِ قَصيرَتَيْنِ ـــ إنَّهُ ٱلرَّجُل نَفْسُهُ ٱلَّذي كانَ يَدْفَعُ ٱلكُرْسِيَّ ٱلمُتَحَرِّكَ في سْكارْبُورُو .

كانَ سْلِيْنكتُون يُجَفِّفُ عَيْنَيْهِ بِمِنْدِيلِهِ . وَيَمْسَحُ ٱلدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ . ثُمَّ رَأَيْتُ تَغَيُّرا مُفاجِئًا عَلى وَجْهِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إلى بِكْوِث ٱلَّذي كانَ قَدْ وَقَف مُنْتَصِبًا مُوَجِّهًا نَظَرَهُ نَحْوَ سْلِيْنكتُون . لَقَدْ كانَتْ نَظَراتُهُ تَنُمُّ عَنْ بُغْضٍ لَمْ أَرَ لَهُ مَثِيلًا مِنْ قَبْلُ .

قالَ : « أُنظُرْ إلَيَّ . أنْظُرْ إلَيَّ عَلى حَقيقَتي . لَقَدِ ٱسْتَأْجَرْتُ هٰذِهِ ٱلغُرْفَةَ لِأَجْعَلَ مِنْها مِصْيَدَةً لَكَ . عِنْدَما جِئْتُ هُنا تَظاهَرْتُ بِأَنِّي سِكِّيرٌ يَقْتَرِبُ مِنْ نِهايَتِهِ . وَفي صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلَّذي ذَهَبْتَ فيهِ لِمُقابَلَةِ ٱلسَّيِّدِ سامْسُون كُنْتُ قَدْ قابَلْتُهُ قَبْلَ ذَهابِكَ إلَيْهِ . وَكُنَّا نَحْنُ ٱلاثْنَيْنِ نَعْرِفُ خُطَّتَكَ ٱلَّتي كانَتْ تَقومُ عَلى إقناعِكَ لي بالتَّأْمينِ عَلى حَياتي . ثُمَّ تَقومُ بِتَقْليدِ خَطِّي ، وَتَكْتُبُ في ٱلوَثيقَةِ ما يُفيدُ بِأَنْ تَدْفَعَ ٱلشَّرِكَةُ قيمَةَ ٱلتَّأْمينِ لَكَ بَعْدَ وَفاتي . كَذٰلِكَ قُمْتَ بِإِرْسالِ خِطابٍ مِنْ نُورْفُوك بِخَطٍّ مُغايِرٍ لِخَطِّكَ فيه ـــ شَهادَةُ تَعْريفٍ أُخرى . ثُمَّ بَدَأْتَ تَدْفَعُني دَفْعًا نَحْوَ ٱلمَوْتِ بِالإِكْثارِ مِنَ ٱلشُّرْبِ ، وَلٰكِنَّ ٱلشُّرْبَ لَمْ يَقْضِ عَلَيَّ بِالسُّرْعَةِ ٱلكافِيَةِ ، فَقُمْتَ بِوَضْعِ شَيْءٍ في كَأْسي مِنْ قِنِّينَةٍ كانَتْ مَعَكَ . لَقَدْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنِّي لا أَراكَ مِنْ فَرْطِ ٱلسُّكْرِ ، وَلٰكِنِّي رَأَيْتُكَ . لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكَ سَوْفَ تَلْجَأُ إلى هٰذا ٱلعَمَلِ إذا أَبْطَأَ ٱلشُّرْبُ

فِي ٱلقَضاءِ عَلَيَّ . عَرَفْتُ هٰذا لِأَنِّي أَعْرِفُكَ حَقَّ ٱلمَعْرِفةِ . لَقَدْ قَتَلْتَ شابَّةً كانَتْ تَثِقُ فيكَ كُلَّ ٱلثِّقةِ ، وَكُنْتَ تُحاوِلُ قَتْلَ شابَّةٍ أُخرى قَتْلًا بَطيئًا . »

ضَحِكَ سْلِيْنكتُون وَقالَ : « ما دَليلُكَ عَلى كُلِّ هٰذا ؟ »

« أنا لَمْ أَشْرَبْ إلَّا ٱلقَليلَ مِمَّا كُنْتَ تُمِدُّني بِهِ ، وَكُنْتُ أَسْكُبُ ٱلباقِيَ في ٱلبالُوعةِ . لَقَدِ ٱستَخْدَمْتَ خادِمًا لِمُراقَبَتي ، وَإغرائِي بِأَنْ أَشْرَبَ حَتَّى ٱلمَوْتِ ، وَلٰكِنِّي دَفَعْتُ لَهُ أَجْرًا أَكْبَرَ لِأَجْتَذِبَهُ نَحْوي ، وَأُجْعَلَهُ يَعْمَلُ لِحِسابِي . لَقَدْ رَأَيْتَني ذاتَ مَرَّةٍ مُلْقًى عَلى ٱلأَرْضِ وَظَنَنْتَ أَنَّ ذٰلِكَ مِنْ فَرْطِ ٱلشُّرْبِ ، وَرَكَلْتَني بِقَدَمِكَ . وَلٰكِنْ في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ بِالذَّاتِ كُنْتُ أَقومُ بِتَفْتيشِ أَوْراقِكَ ، وَأَخَذْتُ تِلْكَ ٱلمادَّةَ ٱلَّتي كُنْتَ تَنْوي وَضْعَها في شَرابي وَغَيَّرْتُها بِمادَّةٍ أُخرى لا ضَرَرَ مِنْها ، وَعَرَفْتُ نَوْعَ ٱلسُّمِّ ٱلَّذي كُنْتَ سَتَسْتَخْدِمُهُ . »

نَظَرَ سْلِيْنكتُون إلى ٱلأَرْضِ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

قالَ بِكْوِث : « لَقَدْ كُنْتَ تَحْتَفِظُ بِمُذَكِّرةٍ كَتَبْتَ فيها كَمِّيَّةَ ٱلسُّمِّ ٱلَّذي يَجِبُ إعْطاؤُها كُلَّ يَوْمٍ ، وَمَظاهِرَ ٱلتَّسَمُّمِ ، وَٱلمُدَّةَ ٱلَّتي تَنْقَضي إلى أَنْ تَتِمَّ ٱلوَفاةُ . وَكَتَبْتَ في تِلْكَ ٱلمُذَكِّرةِ ما كُنْتَ تَقومُ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ . وَيُمْكِنُني أَنْ أُخبِرَكَ بِمَكانِ هٰذِهِ ٱلمُذَكِّرةِ ٱلآنَ . لا ، إنَّها لَيْسَتْ في دُرْجِ مَكْتَبِكَ ٱلمُغْلَقِ . »



صاحَ سْلِيْنكتُون قائلًا : « أَنْتَ لِصٌّ ! »

رَدَّ بِكْوث : « نَعَمْ لِصٌّ ، وَأَنا ظِلُّ ٱبنةِ أَخيكَ . في ٱللَّيْلةِ ٱلَّتي سَبَقَتْ زيارَتَكَ ٱلأَخيرَةَ لِسْكارْبورُو ، كانَتْ في جَيْبِكَ زُجاجةُ دَواءٍ صَغيرةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ في أَنَّكَ كُنْتَ قَدْ أَعْدَدْتَها لِابنةِ أَخيكَ ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ تِلْكَ ٱلزُّجاجةَ إلى ٱلسَّيِّدِ سامْسُون بَعْدَ أَنِ ٱسْتَبْدَلْتُ بِها زُجاجةً أُخرى وَضَعْتُها في مَكانِها . »

نَظَرَ سْلِيْنكتُون مِنْ جانِبٍ إلى جانِبٍ وَكأَنَّهُ فَريسةٌ تُحاوِلُ ٱلهَرَبَ مِنَ ٱلصَّيَّادِ ، ثُمَّ ٱسْتَدارَ صَوْبَ ٱلبابِ .

قالَ بِكْوِث « إنَّ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي يَقِفُ بِجِوارِ ٱلبابِ هُوَ خادِمُ ٱلسَّيِّدِ سامْسُون ٱلأَمينُ . لَقَدْ كانَ يَدْفَعُ ٱلكُرْسِيَّ ٱلمُتَحَرِّكَ في سْكارْبُورُو ، وَقُمْنا نَحْنُ ٱلثَّلاثَةَ بِإِنْقاذِ ٱبْنَةِ أَخيكَ مِنَ ٱلمَوْتِ ٱلَّذي أَعْدَدْتَهُ لَها . »

« أَنا أُخَطِّطُ لِمَوْتِ مارْغَرِيت ٱلعَزيزَةِ ؟ أَبَدًا ! كَيْفَ تَقولُ هٰذا ؟ »

« أَقولُ هٰذا لِأَنَّهُ صَحيحٌ . »

وَضَعَ سْلِينْكتُون يَدَهُ في جَيْبِهِ وَلَمْ يُجِبْ .

« لَقَدْ تَحَدَّثْتَ إلى ٱلسَّيِّدِ سامْسُون عَنْ شَخْصٍ يُدْعى مِلْتام . وَقَدْ أَرْسَلْتَ بِٱبْنَةِ أَخيكَ إلِين إلى مَكْتَبِهِ لِتُؤَمِّنَ عَلى حَياتِها ، وَكانَتْ وَثيقَةُ ٱلتَّأْمينِ تِلْكَ هِيَ سَبَبَ وَفاتِها . لَقَدْ أَحَبَّ مِلْتام ٱبْنَةَ أَخيكَ ، وَعِنْدَما ماتَتْ ــ أَوْ بِٱلأَحْرى عِنْدَما قَتَلْتَها ــ كانَ أَمَلُهُ ٱلوَحيدُ في ٱلحَياةِ أَنْ يُطارِدَكَ وَأَنْ تَنالَ ما تَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِقابٍ . »

ثُمَّ نَظَرَ إلى عَيْنَيْ سْلِينْكتُون وَقالَ : « لَمْ يَسْبِقْ لَكَ أَنْ رَأَيْتَ مِلْتام ، وَها أَنْتَ ذا تَراهُ ٱلآنَ . »

أَدارَ سْلِينْكتُون وَجْهَهُ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلى فَمِهِ وَسَقَطَ مَيْتًا . تَرَكْنا ٱلغُرْفَةَ ، وَفي ٱلخارِجِ صافَحَني مِلْتام قائِلًا : « شُكْرًا لَكَ عَلى ما قُمْتَ بِهِ . لَقَدِ ٱنْتَهَتِ ٱلمُطارَدَةُ . »

الجَــوْهَــرِيُّ آليَــقِظُ
تأْلِيف : نِيكُولاس بِنْتلِي

اِسْمي وِلْيَم مُورِيس . وَأَنا قَوِيُّ آلمُلاحَظةِ ، أُحِبُّ أَنْ أُنْعِمَ آلنَّظَرَ وَأُلاحِظَ آلنَّاسَ وَتَصَرُّفاتِهِمْ ، وَأُحاوِلُ أَنْ أَعْرِفَ حَقيقَتَهُمْ ، وَلماذا يَتَصَرَّفونَ وَعَلى أَيِّ نَحْوٍ يَتَصَرَّفونَ .

ظَلَلْتُ طَوالَ ثَلاثينَ عامًا أَدْرُسُ آلقِصَصَ الغامِضَةَ آلَّتي يَقومُ بِكَشْفِ غُموضِها رِجالٌ أَوْ نِساءٌ . وَقَرَأْتُ قِصَصَ إِدْغار أَلان پُو وَ وَيلْكِي كُولِنْز ، كَما قَرَأْتُ بِالطَّبْعِ قِصَصَ شِرْلُوك هُولمْز وَدُكْتُور ثُورنْدَيك وَبيري مِيسُون وَكَثيرِينَ غَيْرِهِمْ . وَلٰكِنِّي كُنْتُ أَعْتَبِرُ أَنَّ أَفْضَلَها جَميعًا هِيَ تِلْكَ آلقِصَصُ آلَّتي لا يَكْشِفُ غُموضَها شَخْصٌ عَبْقَرِيٌّ ذُو مَواهِبَ نادِرةٍ ، بَلْ رَجُلٌ عادِيٌّ لا يَتَّسِمُ إِلَّا بِحِدَّةِ آلنَّظَرِ وَآلتَّفْكيرِ آلسَّليمِ .

وَلِهٰذا أَصْبَحَ مِنْ عادَتي أَنْ أَنْظُرَ إِلى غَيْري مِنَ آلنَّاسِ نَظْرةً فاحِصةً تَخْتَلِفُ عَنْ نَظْرةِ آلآخَرينَ إِلَيْهِمْ . إِنَّ بَعْضَ آلنَّاسِ يُحِبُّونَ مُراقَبَةَ آلطُّيورِ لِيَتَدارَسوا سُلوكَها ، أَمَّا أَنا فَأُراقِبُ آلنَّاسَ : إِنَّني أَنْظُرُ إِلى مَلابِسِهِمْ

وَأَيديهِمْ وَأَسْنانِهِمْ وَما يَتَحَلَّوْنَ بِهِ مِنْ جَواهِرَ (إذا وُجِدَتْ) وَما يَقْرَأونَهُ ، وَما يَحْمِلونَهُ ، وَأُسْلوبِ حَديثِهِمْ وَمِشْيَتِهِمْ . وَلَيْسَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ تَعْرِفَ ٱلكَثيرَ مِنْ حَقيقةٍ واحِدةٍ ، وَلٰكِنَّكَ تَعْرِفُ ٱلكَثيرَ إذا جَمَعْتَ بَيْنَ حَقيقَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ . وَيَحْدُثُ بِطَبيعةِ ٱلحالِ أَنْ يُخْطِئَ حَدْسي في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ ، وَلٰكِنَّ ٱلعَمَليَّةَ مُسَلِّيَّةٌ بِوَجْهٍ عامٍّ وَهِيَ تُبْهِجُني .

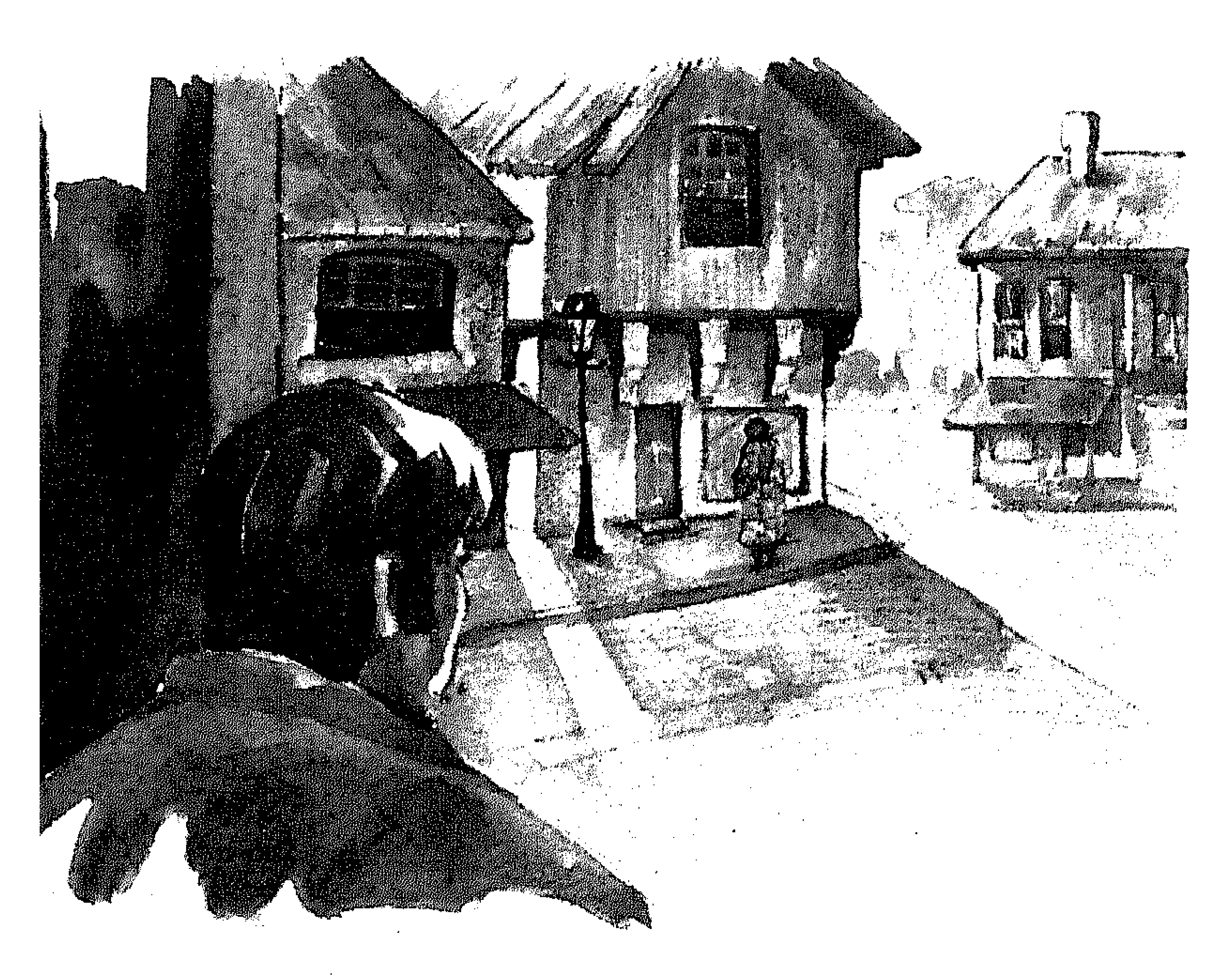
ما هِيَ قِصَّةُ تِلْكَ ٱلسَّيِّدةِ ٱلَّتي تَبْكي في ٱلقِطارِ ؟ لَقَدْ كانَ في إصْبَعِها أَثَرٌ لِخاتَمٍ كانَتْ تَلْبَسُهُ . وَما هِيَ قِصَّةُ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي يَسيرُ في ٱلشَّارِعِ وَٱلسَّماءُ مُمْطِرةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَرْتَدي مِعْطَفَ ٱلمَطَرِ ، بَلْ كانَ يَرْتَدي حُلَّةً أَنيقةً واسِعةً عَلَيْهِ وَكانَ حِذاؤُهُ قَديمًا باليًا وَمُتَّسِخًا . هَلْ كانَ لِصًّا أَمْ قامَ أَحَدٌ بِإعْطائِهِ تِلْكَ ٱلحُلَّةَ شَفَقةً عَلَيْهِ ؟ إنَّ حُلَّتَهُ أَنيقةٌ ، وَلٰكِنَّ حِذاءَهُ كانَ باليًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَرْتَدي قُبَّعةً . ثُمَّ أُنْظُرْ إلى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلواقِفِ في ٱلشَّارِعِ مُنْذُ ساعاتٍ يَقْرَأُ صَحيفةً : لَقَدْ كانَ يُمْسِكُ بِالصَّفْحةِ مَقْلوبةً ــ أَ كانَ مُخْبِرًا سِرِّيًا ، أَمْ كانَ يَنْتَظِرُ حَبيبَتَهُ ؟ وَإذا كانَ في ٱنْتِظارِها فَلِماذا لَمْ يَرْتَدِ حُلَّةً أَكْثَرَ أَناقةً ؟

وَأُحِبُّ كَذٰلِكَ أَنْ أُخَمِّنَ جِنْسيَّةَ مَنْ أَراهُمْ . هَلْ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ فَرَنْسِيٌّ أَمْ إيطالِيٌّ أَمْ أَلْمانِيٌّ أَمْ أَمريكِيٌّ ؟ مِنَ ٱلسَّهْلِ أَنْ أُخَمِّنَ أَنَّ هٰذا ٱلشَّخْصَ أَمريكِيٌّ عِنْدَما أَرى فَمَهُ يَلوكُ قِطْعَةَ لُبانٍ بِصورةٍ مُسْتَمِرَّةٍ . وَقَدْ حاوَلْتُ

أَنْ أَمْضُغَ ذٰلِكَ ٱللُّبانَ مَرَّةً فَلَمْ أَسْتَسِغْهُ . وَلٰكِنْ عَلَيَّ ٱلآنَ أَنْ أَرْجِعَ إلى مَوْضوعِ قِصَّتي .

أَعْمَلُ في مَحَلِّ رِغْنِير لِبَيْعِ ٱلجَواهِرِ ٱلقَديمَةِ ٱلَّتي يَبْلُغُ عُمْرُها مِئاتِ ٱلسِّنينَ ، لا ٱلجَواهِرِ ٱلحَديثَةِ ٱلَّتي يُمْكِنُكَ أَنْ تَجِدَها في أَيِّ مَكانٍ . وَٱلمَحَلُّ صَغيرٌ ، وَبِهِ مِنْضَدَةٌ مُسْتَطيلَةٌ طَويلَةٌ أَسْتَخْدِمُها في عَرْضِ ٱلجَواهِرِ وَبَيْعِها . وَتَقَعُ هٰذِهِ ٱلمِنْضَدَةُ إلى يَسارِ ٱلبابِ . وَهُناكَ مِنْضَدَةٌ أُخْرى مُسْتَطيلَةٌ صَغيرَةٌ في ٱلخَلْفِ . أَمَّا مَكْتَبُ ٱلسَّيِّدِ رِغْنِير فَيُوْجَدُ في غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ خَلْفَ ٱلمَحَلِّ . وَنَحْنُ لا نَقومُ بِعَرْضِ ٱلكَثيرِ مِنْ جَواهِرِنا في نافِذَةِ ٱلعَرْضِ ٱلمَدْعومَةِ بِقُضْبانٍ حَديدِيَّةٍ . وَبِالمَحَلِّ عامِلانِ هُما ٱلآنِسَةُ سَسْكِنْد وَأَنا .

وَأَوَّلُ ما أَقومُ بِهِ في ٱلصَّباحِ هُوَ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ ٱلجَواهِرِ في نافِذَةِ ٱلعَرْضِ . وَتُعادُ هٰذِهِ ٱلجَواهِرُ دائِمًا إلى مَكانِها ٱلسّابِقِ في ٱلمَساءِ . وَلاحَظْتُ في ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ ٱلَّذي جَرَتْ فيهِ تِلْكَ ٱلحادِثَةُ ٱلكَبيرَةُ ، أَنَّ فَتاةً كانَتْ تَنْظُرُ في نافِذَةِ ٱلمَحَلِّ ٱلمُواجِهِ لَنا : وَكانَ مَحَلًّا لِدَفْنِ ٱلمَوْتى . وَلَمْ يَكُنْ في ٱلنّافِذَةِ إلّا وِعاءانِ وَبَعْضُ ٱلصُّوَرِ ٱلفوتوغْرافِيَّةِ لِشَواهِدِ ٱلقُبورِ . وَكانَتِ ٱلفَتاةُ تَرْتَدي مِعْطَفًا أَصْفَرَ طَويلًا بِهِ مُرَبَّعاتٌ سَوْداءُ ، وَكانَتْ شَقْراءَ طَويلَةَ ٱلشَّعْرِ ، وَلَمْ تَكُنْ تَلْبَسُ قُبَّعَةً . وَكانَ حِذاؤُها قَصيرَ ٱلكَعْبَيْنِ . رُبَّما كانَتْ فَنّانَةً قَليلَةَ ٱلشَّأْنِ .



راقَبْتُ ٱلفَتاةَ فَتْرةً . ثُمَّ جاءَ رَجُلٌ إلى ٱلمَحَلِّ . كانَ مِنْ أُولٰئِكَ ٱلأَمْرِيكِيِّينَ ٱلَّذينَ يَمْضُغونَ ٱللُّبانَ ، وَكانَتْ أَلْوانُ مَلابِسِهِ رَصينَةً بِٱسْتِثْناءِ رَبْطةِ عُنُقِهِ ، فَقَدْ كانَتْ زاهِيةَ ٱلأَلْوانِ لِلْغايةِ . وَهُوَ ضَخْمُ ٱلجِسْمِ ، وَيَدُلُّ ٱحْمِرارُ وَجْهِهِ عَلى أَنَّهُ يُسْرِفُ في ٱلشَّرابِ . أَمّا عُمْرُهُ فَحَوالَى خَمْسٍ وَثَلاثينَ سَنَةً .

طَلَبَ مِنّي أَنْ أُرِيَهُ بَعْضَ ٱلخَواتِمِ ، فَأَخْرَجْتُ صينيَّةً عَلَيْها عَدَدٌ مِنْها كَيْ آخُذَ فِكْرةً عَنْ نَوْعِ ٱلخاتَمِ ٱلَّذي يُريدُهُ . أَمْسَكَ بِخاتَمَيْنِ أَوْ ثَلاثةٍ وَسَأَلَ عَنْ سِعْرِها . لاحَظْتُ أَنَّهُ أَعْسَرُ ، أَيْ يَسْتَخْدِمُ يَدَهُ ٱليُسْرى ، وَأَنَّهُ

لا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ ٱلأَحْجارِ ٱلكَريمَةِ ، وَكَيْفَ يَتِمُّ تَثْبيتُها في ٱلخَواتِمِ . وَلَمْ يَكُنْ يُفَرِّقُ بَيْنَها إِلَّا عَنْ طَريقِ ثَمَنِها .

كانَ بَيْنَ ٱلخَواتِمِ خاتَمٌ في غايَةِ ٱلجَمالِ ، بِهِ فُصوصٌ كَبيرَةٌ مِنَ ٱلماسِ وَٱلياقوتِ ٱلأَحْمَرِ ٱلقاني مَصْنوعَةٌ عَلى هَيْئَةِ زَهْرَةٍ . وَكانَ عُمْرُ هٰذا ٱلخاتَمِ حَوالَى ثَلاثِمِئَةِ سَنَةٍ . وَقَدْ قَدَّرَ ٱلسَّيِّدُ رِغْنير لِبَيْعِهِ ثَمَنًا مُرْتَفِعًا لِلْغايَةِ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ في ٱلحَقيقَةِ يُريدُ بَيْعَهُ . وَقالَ ٱلأَمْريكِيُّ إِنَّ ٱلسِّعْرَ مُرْتَفِعٌ جِدًّا .

كانَ عَلى مِنْضَدَةِ ٱلعَرْضِ ثَلاثُ صَوانٍ لِلْخَواتِمِ ، وَوَقَفَ ٱلأَمْريكِيُّ حائِرًا ماذا يَخْتارُ . ثُمَّ رَأى صينِيَّةً رابِعَةً كانَتْ في ٱلخِزانَةِ ٱلَّتي تُحْفَظُ فيها كافَّةُ ٱلجَواهِرِ أَثْناءَ ٱللَّيْلِ . كانَ بابُها مَفْتوحًا خَلْفي ، فَٱسْتَدَرْتُ لِأُحْضِرَ ٱلصِّينِيَّةَ لَهُ ، وَلٰكِنْ قَبْلَ أَنْ أَضَعَها عَلى مِنْضَدَةِ ٱلعَرْضِ لاحَظْتُ أَنَّ خاتَمَ ٱلماسِ وَٱلياقوتِ قَدِ ٱخْتَفى .

وَضَعْتُ ٱلصِّينِيَّةَ عَلى ٱلمِنْضَدَةِ وَأَشَرْتُ إِلى ٱلآنِسَةِ سَسْكِنْد ، فَجاءَتْ وَوَقَفَتْ إِلى جِواري .

قُلْتُ : « لَقَدِ ٱخْتَرْتَ ٱلخاتَمَ ذا ٱلفُصوصِ ٱلمَصْنوعَةِ عَلى هَيْئَةِ زَهْرَةٍ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ إِذا أَعْطَيْتَنيهِ وَضَعْتُهُ لَكَ في عُلْبَةٍ . » وَمَدَدْتُ يَدي نَحْوَهُ . قالَ ٱلأَمْريكِيُّ : « أَنا لَمْ أَخْتَرْ شَيْئًا . كُنْتُ أُريدُ أَنْ أَنْتَقِيَ خاتَمَيْنِ لِزَوْجَتي لِتَخْتارَ أَحَدَهُما . »

ذَهَبَتِ ٱلآنِسةُ سَسْكِنْد لِتُنادِيَ ٱلسَّـيِّدَ رِغْنِير .

خَرَجْتُ مِنْ وَرَاءِ مِنْضَدَةِ ٱلعَرْضِ ، وَبَدَأْتُ أَبْحَثُ عَنِ ٱلخاتَمِ في كُلِّ مَكانٍ ، وَقامَ ٱلأَمْرِيكيُّ بِالبَحْثِ كَذٰلِكَ . ثُمَّ جاءَ ٱلسَّـيِّدُ رِغْنِير وَٱلآنِسةُ سَسْكِنْد وَٱشتَرَكا في ٱلبَحْثِ .

كانَ ٱلسَّـيِّدُ رِغْنِير في غايَةِ ٱلِانْفِعالِ ، مِمَّا جَعَلَني أَتَوَقَّعُ صِدامًا .

قالَتِ ٱلآنِسةُ سَسْكِنْد : « أَعْتَقِدُ أَنَّ عَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ في ثِنْيِ ٱلبَنْطَلُونِ لَعَلَّهُ عَلِقَ بِهِ . »

نَظَرَ ٱلأَمْرِيكِيُّ إِلَيْها نَظْرَةً غاضِبةً ، وَلاحَظْتُ أَنَّ وَجْهَهُ قَدِ ٱزْدادَ ٱحْمِرارًا ، وَأَنَّهُ قَدْ تَوَقَّفَ عَنْ مَضْغِ ٱللُّبانِ وَضَغَطَ عَلى أَسْنانِهِ كَما لَوْ كانَ يُرِيدُ أَنْ يَعَضَّها . وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ ٱنْحَنَى وَفَتَّشَ في ثَنْيِ بَنْطَلونِهِ بِدُونِ أَنْ يَجِدَ شَيْئًا .

ضَحِكَ وَقالَ : « أَخْشى أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي سَرَقْتُهُ . »

قالَ ٱلسَّـيِّدُ رِغْنِير : « لا ، لا يا سَيِّدي ! بِالطَّبْعِ لا ! أَنا لا أَشُكُّ فيكَ بِطَبيعةِ ٱلحالِ ، وَلٰكِنْ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ تَقْرِيرًا لِشَرِكةِ ٱلتَّأْمينِ ، وَلِهٰذا فَعَلَيَّ أَنْ أَتَأَكَّدَ أَنَّ ٱلخاتَمَ لَمْ يَدْخُلْ في أَيِّ جُزْءٍ مِنْ مَلابِسِكَ . »

لَمْ يُحاوِلِ ٱلأَمْريكيُّ ٱلِاعْتِراضَ بَلْ ذَهَبَ مَعَ ٱلسَّـيِّدِ رِغْنِير إلى غُرْفَتِهِ ،

وَنَزَعَ كُلَّ مَلابِسِهِ وَحَتَّى حِذاءَهُ ، وَلٰكِنَّ ٱلخاتَمَ لَمْ يَظْهَرْ أَلْبَتَّةَ .

أَثْناءَ ٱنْشِغالِهِما بِذٰلِكَ أَخَذْتُ أَنا وَٱلآنِسةُ سَسْكِنْد نُواصِلُ بَحْثَنا عَنِ ٱلخاتَمِ ٱلمَفْقودِ ، رَغْمَ أَنَّ أَمَلي في ٱلعُثورِ عَلَيْهِ كانَ ضَعيفًا ؛ ذٰلِكَ أَنَّ ٱخْتِفاءَهُ كانَ بِصُورةٍ مُفاجِئةٍ أَثارَتْ شُكوكي .

جاءَ شَخْصٌ آخَرُ أَثْناءَ قيامِنا بِالبَحْثِ : إِنَّها تِلْكَ ٱلفَتاةُ ٱلَّتي رَأَيْتُها مِنْ قَبْلُ أَمامَ نافِذةِ مَحَلِّ دَفْنِ ٱلمَوْتَى ، وَبَدا لي مَجيئُها في هٰذا ٱلوَقْتِ مُصادَفةً غَريبةً .

عِنْدَما نَظَرْتُ إِلَيْها عَنْ كَثَبٍ ، لاحَظْتُ عِدَّةَ أَشْياءَ . لَقَدْ كانَتْ بِيَدِها حَقيبةٌ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلثَّمينِ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ بالِيةَ ٱلأَطْرافِ ؛ كَما أَنَّ مَلابِسَها مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلثَّمينِ أَصْلًا ، وَلٰكِنَّها أَصْبَحَتِ ٱلآنَ بادِيةَ ٱلقِدَمِ ، باليةً . قُلْتُ في نَفْسي : إِنَّها فَتاةٌ مِنْ عائلةٍ عَريقةٍ وَلٰكِنَّها فَقيرةٌ . لا بُدَّ أَنَّها لَمْ تَأْتِ لِتَشْتَرِيَ شَيْئًا بَلْ لِتَبيعَ .

أَخْرَجَتْ بِيَدِها ٱليُسْرى لُفافةً صَغيرةً مِنَ ٱلوَرَقِ كانَتْ بِحَقيبَتِها ، ثُمَّ وَضَعَتْها عَلى ٱلمِنْضَدةِ . لاحَظْتُ أَصابِعَها : لَقَدْ كانَتْ قَصيرةً ، وَلَمْ يَكُنْ بِها خاتَمُ زَواجٍ ، وَكانَتْ غَيْرَ نَظيفةٍ .

فَتَحْتُ ٱللُّفافةَ فَوَجَدْتُ بِها قِطْعةً مِنَ ٱلحُلِيِّ تافِهةَ ٱلقيمةِ .

« هَلْ يُمْكِنُ مِنْ فَضْلِكَ أَنْ تُصْلِحَها ؟ »

قُلْتُ : « يُؤْسِفُني ذٰلِكَ . نَحْنُ لا نَقومُ بِإِصْلاحِ ٱلحُلِيِّ هُنا . »
قالَتْ : « شُكْرًا ! »

اِنْتَظَرْتُ لَحْظةً ، وَلاحَظْتُ أَنَّ حَقيبَتَها لَمَسَتِ ٱلوَرَقةَ وَأَسْقَطَتْها خَلْفَ مِنْضَدةِ ٱلعَرْضِ إلى جِوارِي . وَبَدا أَنَّ هٰذا كانَ مُجَرَّدَ مُصادَفةٍ . وَٱلحَقيقةُ أَنَّهُ كانَ مُتَعَمَّدًا ، وَلٰكِنْ بِمَهارةٍ شَديدةٍ .

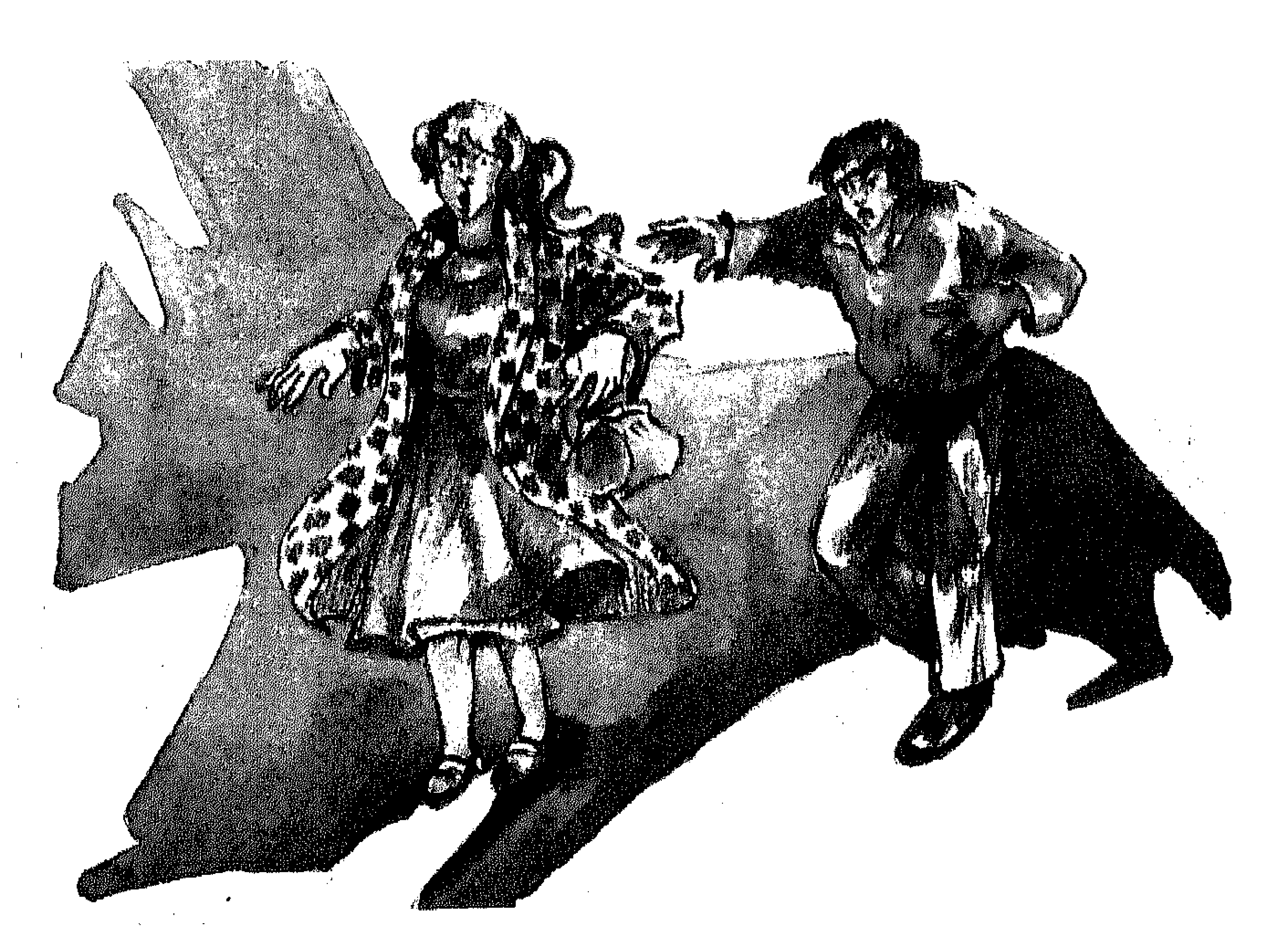
اِنْحَنَيْتُ لِأَلْتَقِطَ ٱلوَرَقةَ ، وَفَجْأَةً أَدْرَكْتُ كُلَّ شَيْءٍ . وَجاءَتْني أَفْكارٌ مُتَرابِطةٌ مُتَناسِقةٌ جَعَلَتْني أُدْرِكُ سِرَّ ٱلغُموضِ ٱلَّذي شابَ ٱخْتِفاءَ ٱلخاتَمِ ذي ٱلأَحْجارِ ٱلمُرَصَّعةِ عَلى هَيْئةِ زَهْرةٍ .

وَضَعْتُ ٱلحِلْيةَ في وَرَقَتِها ، وَسَلَّمْتُها لِلْفَتاةِ فَأَخَذَتْها وَوَضَعَتْها في حَقيبَتِها . وَعِنْدَما ٱسْتَدارَتْ لِتَذْهَبَ قُلْتُ لَها : « دَقيقةً مِنْ فَضْلِكِ ! »

تَصَرَّفَتْ كَأَنَّها لَمْ تَسْمَعْني ، فَقُلْتُ : « اِسْمَحي لي ، إذا لَمْ تَتَوَقَّفي فَسَأَضْغَطُ عَلى جَرَسِ ٱلإِنْذارِ فَتُغْلَقُ ٱلأَبْوابُ . »

تَوَقَّفَتْ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَسْتَدِرْ نَحْوي . وَكانَتِ ٱلآنِسةُ سَسْكِنْد واقِفةً وَراءَ مِنْضَدةِ ٱلعَرْضِ ٱلأُخْرى وَكَأَنَّها تِمْثالٌ مِنَ ٱلحَجَرِ .

ذَهَبْتُ إلى ٱلفَتاةِ وَقُلْتُ لَها : « نَحْنُ لا نُريدُ أَيَّ فَضائحَ ، لِهٰذا أَعْطِني



مِنْ فَضْلِكِ ٱلخاتَمَ مِنَ ٱلجَيْبِ ٱلأَيْسَرِ في مِعْطَفِكِ . وَإذا لَمْ تَفْعَلي ذٰلِكَ فَسَوْفَ تَقومُ ٱلآنِسةُ سَبْسكِنْد بالضَّغْطِ عَلى جَرَسِ ٱلإنْذارِ . »

إصْفَرَّ وَجْهُ ٱلفَتاةِ ، وَشَعَرْتُ نَحْوَها بِٱلأَسَفِ وَهِيَ تَنْظُرُ إلَيَّ ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْها مَلامِحُ ٱلخَوْفِ ٱلشَّديدِ . ثُمَّ أَعْطَتْني ٱلخاتَمَ ، وَجَرَتْ عَلى ٱلفَوْرِ خارِجَةً مِنَ ٱلمَحَلِّ .

في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ جاءَ ٱلسَّـيِّدُ رِغْنِير وَمَعَهُ ٱلأَمْريكِيُّ في كامِلِ مَلابِسِهِ ، وَٱلِابْتِسامَةُ تَعْلو وَجْهَهُ ، كَما لَوْ كانَ ٱلمَوْضوعُ كُلُّهُ مُجَرَّدَ شَيْءٍ يَبْعَثُ عَلى ٱلضَّحِكِ .

أَمَّا ٱلسَّـيِّدُ رِغْنِير فَلَمْ يَكُنْ مُبْتَسِمًا ، وَكانَ يَقولُ : « أَنا في غايةِ ٱلأَسَفِ ، أَرْجو ٱلمَعْذِرةَ ! »

فَتَحْتُ يَدي وَأَرَيْتُهُ ٱلخاتَمَ ، وَيا لَيْتَكَ رَأَيْتَ وَجْهَ ٱلسَّـيِّدِ رِغْنِير عِنْدَما رَأى ٱلخاتَمَ . أَمَّا ٱلأَمْريكيُّ فَقَدِ ٱنْطَلَقَ خارِجًا مِنَ ٱلمَحَلِّ وَكَأَنَّهُ رَصاصةٌ خَرَجَتْ مِنْ بُنْدُقيَّةٍ .

سَأَلَني ٱلسَّـيِّدُ رِغْنِير : « كَيْفَ وَجَدْتَهُ ؟ إِشْرَحْ لي مِنْ فَضْلِكَ كَيْفَ تَمَّ ذٰلِكَ . »

« إِنَّ أَمْثالَ هٰذا ٱلأَمْريكيِّ لا يَأْتونَ إلى مَحَلِّنا ، لِأَنَّهُمْ يَميلونَ إلى حُلِيٍّ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلحَديثِ ٱلبَرَّاقِ ٱلَّذي لا نَقومُ نَحْنُ بِبَيْعِهِ . إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ ٱلجَواهِرِ ، وَلَيْسَتْ لَدَيْهِ فِكْرةٌ عَمَّا يُريدُ شِراءَهُ . أَمَّا زَبائِنُنا فَهُمْ يَعْرِفونَ ما يُريدُونَ ، وَلَدَيْهِمْ فِكْرةٌ ، وَلَوْ ضَئيلةٌ ، عَنِ ٱلجَواهِرِ ٱلقَديمةِ وَقيمَتِها . وَلِهٰذا سَأَلْتُ نَفْسي ، لِماذا جاءَ إِلَيْنا ؟ »

قالَ ٱلسَّـيِّدُ رِغْنِير : « لَقَدْ كانَتْ تِلْكَ حَصافةً مِنْكَ . »

وَواصَلْتُ حَديثي قائِلًا : « وَهُناكَ مَوْضوعُ ٱلفَتاةِ . لَقَدْ كانَتْ مُنْتَظِرةً في ٱلخارِجِ تَنْظُرُ إلى نافِذةِ مَحَلِّ دَفْنِ ٱلمَوْتَى ٱلمُواجِهِ لَنا . »

قالَ ٱلسَّـيِّدُ رِغْنِير : « يا لَهُ مِنْ تَصَرُّفٍ غَريبٍ ! »

قُلْتُ : « إذا كانَ في نِيَّتِها أَنْ تَأْتِيَ إلَيْنا فَلِماذا وَقَفَتْ في ٱلخارِجِ أَمامَ مَحَلِّ دَفْنِ ٱلمَوْتى ؟ وَهُناكَ تِلْكَ ٱلحِلْيَةُ ٱلرَّخيصةُ ٱلَّتي جاءَتْ بِها لإِصْلاحِها . كانَ مِنَ ٱلواجِبِ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ مَحَلَّ رِغْنِير لا يَقومُ بِإِصْلاحِ ٱلحُلِيِّ ٱلرَّخيصةِ . »

« بِالطَّبْعِ لا . ماذا لاحَظْتَ خِلافَ ذٰلِكَ ؟ »

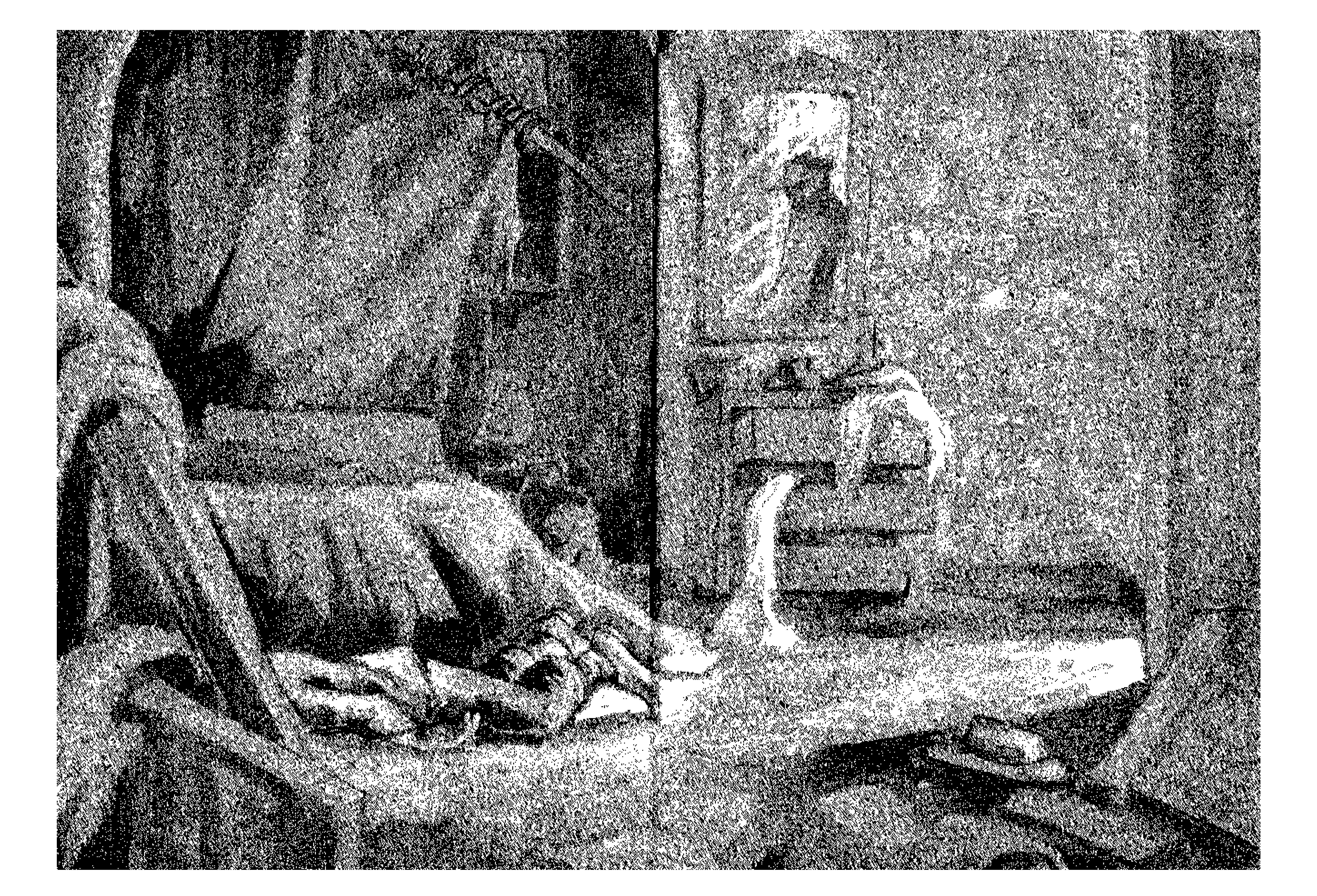
« لَقَدْ أَخْرَجَتِ ٱللُّفافةَ مِنْ حَقيبَتِها بِيَدِها ٱليُسْرى عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّها لَمْ تَكُنْ عَسْراءَ . وَوَضَعَتْ يَدَها ٱليُسْرى في نَفْسِ ٱلمَكانِ ٱلَّذي كانَ ٱلأَمْريكيُّ ٱلأَعْسَرُ قَدْ وَضَعَ فيهِ يَدَهُ ٱليُسْرى بَعْدَ أَنْ أَخْرَجْتُ ٱلصِّينيَّةَ ٱلرَّابِعةَ مِنَ ٱلخِزانةِ قَبْلَ أَنْ أُلاحِظَ ٱخْتِفاءَ ٱلخاتَمِ . »

سَأَلَني ٱلسَّيِّدُ رِغْنِير : « لٰكِنْ ما ٱلَّذي فَعَلَهُ بِالخاتَمِ ؟ »

« لَقَدْ كانَتْ هُناكَ نُقْطةٌ أُخْرى تَذَكَّرْتُها وَأَنا أَلْتَقِطُ قِطْعةَ ٱلوَرَقِ ٱلَّتي سَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ ؛ ذٰلِكَ أَنَّني لاحَظْتُ أَنَّهُ قَدْ تَوَقَّفَ عَنْ مَضْغِ ٱللُّبانِ أَثْناءَ قِيامِنا بِالبَحْثِ عَنِ ٱلخاتَمِ في ٱلأَرْضِ ، وَعِنْدَما كانَ يَبْدو مُتَجَهِّمَ ٱلوَجْهِ غاضِبًا أَثْناءَ تَوْجيهِ نَظَرِهِ إلى ٱلآنِسةِ سَسْكِنْد . إنَّ ٱلإِنْسانَ لا يَبْتَلِعُ ٱللُّبانَ ، وَلا يَرْمي بِهِ إلى ٱلأَرْضِ . وَلَمْ تَكُنْ هُناكَ سَلَّةُ مُهْمَلاتٍ يُلْقي بِاللُّبانِ فيها ، بِالإِضافةِ إلى أَنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ قَطُّ مِنْ مَكانِهِ . لِهٰذا فَلا بُدَّ أَنَّهُ قَدْ وَضَعَ ٱللُّبانَ في مَكانٍ قَريبٍ مِنْهُ . وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ مَكانٌ يُمْكِنُهُ أَنْ يَضَعَها

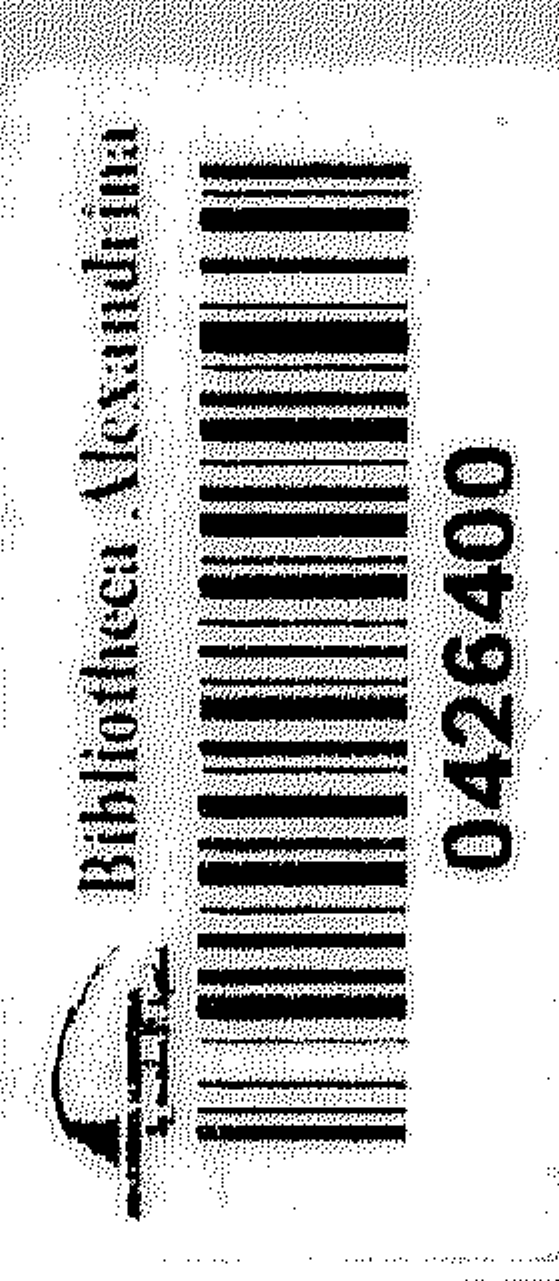
فيهِ إلَّا تَحْتَ حافَةِ مِنْضَدةِ ٱلعَرْضِ . وَهٰذا هُوَ ٱلمَكانُ ٱلَّذي بَحَثْتُ فيهِ عَنِ ٱللُّبانِ عِنْدَما كانَتِ ٱلفَتاةُ قَدِ ٱسْتَدارَتْ لِتَخْرُجَ مِنَ ٱلمَحَلِّ . أُنْظُرْ ، إنَّ عَلى ٱللُّبانِ عَلامةً في ٱلمَكانِ ٱلَّذي كانَ ٱلخاتَمُ مُلْتَصِقًا بِهِ . »

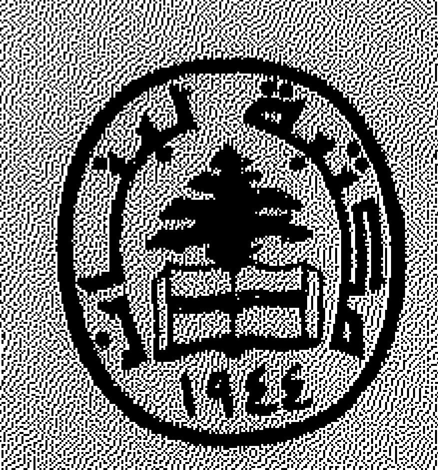
إنَّهُ مِنَ ٱلغَريبِ أَنَّ شَيْئًا واحِدًا يُمْكِنُ أَنْ يُحْدِثَ آثارًا مُخْتَلِفةً عَلى ٱلنَّاسِ بِٱخْتِلافِ شَخْصِيَّاتِهِمْ : خُذْ مَثَلًا لِذٰلِكَ ٱلسَّـيِّدَ رِغْنِير وَٱلآنِسةَ سَسْكِنْد : فَمُحاوَلةُ سَرِقةِ ٱلخاتَمِ قَدْ أَغْضَبَتِ ٱلسَّـيِّدَ رِغْنِير ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ كانَ شاكِرًا لي كُلَّ ٱلشُّكْرِ لِما قُمْتُ بِهِ . وَلٰكِنَّها أَثَّرَتْ سَلْبًا على ٱلآنِسةِ سَسْكِنْد ، فَصَمَتَتْ كَعادَتِها عِنْدَما تَشْعُرُ بِٱلِانْزِعاجِ . وَقالَتْ : « تَكْ ــ تَكْ » وَقَدْ لاحَظْتُ أَنَّها تَقولُ « تَكْ ــ تَكْ » كُلَّما ضايَقَها شَيْءٌ .



الحكايات البوليسية

١ ــ قبعة القاتل وقصص أخرى





مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 501